الفصل السادس

نحل الشعر العربي وصحته

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

نحل الشعر وصحته

النحل من القضايا النقدية التي شغلت بعض النقاد في القديم والحديث، وهي قضية مهمة لها أسبابها، وقد أخذت هذه القضية أبعاداً مختلفة في تاريخ النقد الأدبي، وما أثير حول هذه القضية "إنما كان وليد الرغبة في تنقية التراث الشعري من الشوائب التي لحقته سواء كانت مقصودة أم محض الصدف فقد اجتمعت له أسباب إحالته عن وجهه الصحيح نتيجة ظروف معينة، ربما ساعدت وقتها على تغطية المتزيدين والمتكسبين بهذا الشعر"[1].

وقد عرف عرب ما قبل الإسلام قضية نحل الشعر، وأدركوا معناها اللغوي[2]. ويكشف الحوار الذي دار بين النعمان بن المنذر والأعشى حين جاءه مادحاً. فقال له النعمان: "لعلّك تستعين على شعرك هذا؟ فقال له الأعشى: أحبسني في بيت عندك حتى أقول: فحبسه في بيتٍ فقال قصيدته التي أولها:

أأزمعت من آلِ ليلى ابتكِاراً ... وشطَّتْ على ذي هَوى أَن تُزارا

وفيها قال دافعاً عن نفسه تهمة الانتحال:

---

(1) النقد عند اللغويين في القرن الثاني، ص 103.

(2) النُّحل بالضم: أعطاك الإنسان شيئاً بلا استعاضة، وعم به بعضهم جميع أنواع العطاء. والنِّحلة: الدعوى، وانتحل فلان شعر فلان أو قول فلان: إذا ادَّعاه أنه قائله، وتنحَّله ادعاه وهو لغيره،ونحل الشاعر قصيدة: إذا نسبت إليه وهي من قول غيره. فمعنى النحل في الشعر هنا أن يدعي شخص كذباً أن هذا الشعر له، وما هو له. ينظر لسان العرب 1/ 650. وقد يأتي النحل بمعنى التمليك، فيقال: انتحل فلان كذا وكذا معناه ألزمه نفسه وجعله كالملك له، وعندما يقول الشاعر قصيدة ينسبها إلى غيره كأنه ملكها له بلا عوض،"وفي حديث قتادة النعمان: كان بشير بن أبيرق يقول الشعر ويهجو به أصحاب النبي وينحله بعض العرب، أي ينسبه إليهم، من النحلة وهي النسبة بالباطل"، م. ن 651/1. ومن هذا النوع كان نحل الشعر الذي قصده الدكتور طه حسين، أي أن شعراء ليسوا جاهليين، قالوا شعراً ونسبوه (نسبة باطلة) إلى الجاهليين. ينظر: مع طه حسين في الشعر الجاهلي، زياد أحمد سلامة، ص 14.

obeikandi.com

فمــا أنــا أم انتحــالي القــوا   في بعـد المشيب كفـى ذاك عـارا

وَقيّــــدني الشــــعرُ في بيتــــهِ   كمــا قيـد الآسـراتُ الحِمَـارا (□)

فالقصيدة والقصة كلاهما مؤشران مهمّان يدلان بعمق على مدى تصدي الشعراء لظاهرة الانتحال التي كانت عامة الناس وخاصتهم يقللون من انتشارها وينأى الشعراء بنفسهم عنها ، فيساهم الأعشى في هذا النفي ليحقق الاطمئنان والشعور بالأمانة الأدبية بين أهل الشعر فإن لقاءات الشعراء والرواة ومجالسهم الشعرية كان لها عصا السبق والريادة في إخراج الصنعة"(بر).

وكان امرؤ القيس يروي شعره لقيانه المغنيات ليحفظنه(تر). ومثل هذا ما يقول الإياديون في اصطحاب امرئ القيس لشاعرهم أبي دؤاد الأيادي عندما كان امرؤ القيس يتتلمذ على يديه فقالوا أنه كان يتكئ على شعره،ومثله قولهم إنه صحب طائفة من الشعراء الصعاليك غلب عليه شعرهم وغير ذلك من الأقوال.

فظاهرة النحل كما يبدو قديمة وعرف بها الشاعر والمتلقي على حدٍ سواء. أما الناقد الذواقة فهو يشمها ولو بحرف أو بلفظة فذوقهم شَكَّلَ عبئاً إضافياً على من يريد الشروع في هذا الباب

و قد تَنَبَّهَ العلماء لقضية النحل منذ زمن بعيد ، وإذا كانت إشارات الشعراء الجاهليين هي البذرة التي اتكأت عليها ظاهره نحل الشعر، وانتقل المصطلح بعد الإسلام بدلالته نفسها وضمنه الشعراء شعرهم فقال الفرزدق:

إذا مــا قلــت قافيــة شــروداً   تنحلـها ابـن حمـراء العجـان(ير)

ثم تطور استعمال المصطلح على أيدي الرواة والنقاد والعلماء حين حاولوا

---

(1) الشعر والشعراء 259/1 للاستزادة ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 324، والقصيدة في ديوان الأعشى، ص 45-53.

(2) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، ص 75 وينظر: كتاب الزينة، ص 125.

(3) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، الدكتور نوري القيسي وآخرون، ص 309.

(4) طبقات فحول الشعراء 1/ 227.

obeikandi.com

اكتشاف الشعر المنحول ودليلنا في ذلك المحاورة الأدبية التي دارت بين بلال بن أبي بردة وحماد الراوية الذي روى شعراً للحطيئة في مدح أبي موسى الأشعري[1].

والأمر الآخر الذي يؤكد وجود مصطلح نحل الشعر هي تلك الإشارات التي جاءت في كتاب فحولة الشعراء للأصمعي وما جاء في سيرة ابن هشام، وما استدركه على ابن أبي إسحاق راوية السيرة النبوية فقد أسقط كثيراً من الشعر، وبين زائفه من صحيحه، وذكر نقد العلماء له غير أن ما ذكره ابن سلام في كتابه (طبقات فحول الشعراء) كان الانطلاقة الرئيسة لمناقشة نحل الشعر وصحته.

ويبدو أن الأصمعي قد كشف " بقوة إحساسه وذوقه المتميز عن كثير من القصائد المنتحلة من خلال مقارنتها بأسلوب الشاعر[2]، فهو أول من تنَبَّهَ عليها من النقاد فقد استبعد المهلهل من الفحول بقوله:"ليس بفحل وأكثر شعره مَحمول عليه"[3]. ويقول عن متمم بن نويرة "كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه"[4]، وقال عن عدي بن زيد " كان يسكن الحيرة ومراكز الريف، فلانَ لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شيء كثير، وتخليصه شديد، واضطرب فيه خلفٌ وخلط فيه المفضل. ولا شك في أن الأصمعي قد أفاد من ذخيرته العلمية واطلاعه الواسع والمتشعب ليتوقف عند قضية نحل الشعر التي أصبحت كما يبدو قضية عصره النقدية في مرحلة تدوين الشعر، فقد علق على القصيدة المنسوبة لزهير ومطلعها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى ... من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

فقال عنها: ليست لزهير ويقال هي لصرمة الأنْصاري ولا تشبه كلام زهير[5]. وهنا يوضح الأصمعي طريقته النقدية في كشف الانتحال خلال منظار فني ثم يذكر المصطلح صراحة مرة أخرى بقوله:"كان أبو نخيلة ينتحل شعر

---

(1) ينظر: الأغاني 97. 98.

(2) الأصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي، ص 455.

(3) فحولة الشعراء، ص 12.

(4) م.ن، ص 13.

(5) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 167.

openkanal.com

رؤبة بن العجاج "(1) وقال عن حسان بن ثابت "أحد فحول الشعراء فقال له أبو حاتم: تأتي له أشعار لينة. فقال له الأصمعي: تنسب له أشياء لا تصح عنه"(2) وقال:" كثير الشعر جيده، وقد حمل عليه مالم يحمل على أحد لما تعاضهت قريش، واستبَّت، وضعوا عليه أشعاراً كثيرة، لا تليق به ". ويرى أحمد الشايب أن ضعف شعر صدر الإسلام سببه "الارتجال والانتحال، أو الضعف الأصيل في طبيعة الشاعر أو كذب عاطفته"(3). ويبدو أن النقاد في أغلبهم الأعم قد أكدوا قطعاً قضية ضعف الشعر الإسلامي، وكادوا يجمعون على أن قضية نحل الشعر كانت من الأسباب المهمة التي أدت إلى هذا الضعف. كما أن الأسباب التي ذكرها الأستاذ الشايب وجيهة لأنَّ كل مصطلح من هذه المصطلحات التي ذكرها أسهمت في ضعف الشعر في عصر صدر الإسلام.

ولكن هذا لا يعني أن هذه المصطلحات تنطبق على الشعراء جميعهم، لأنَّ هناك شعراء فحولاً ذاعت شهرتهم، ولكن المتفق عليه أن هناك ضعفاً في الشعر والأسباب قد تتعدد وتتنوع وقد تكثر وقد تقل من شاعر لآخر.

أما عن شعر حسان يقول أحمد الشايب"أما حسان بن ثابت فكان شعره الجاهلي أقوى من شعره الإسلامي لتغير البيئة عليه وارتجاله،وكثرة ما قال وتقييده بحدود الدين،وترك معاييره القديمة وكثرة ما حمل عليه،على أن له بعض قصائد إسلامية جيدة".

فالأستاذ الشايب أورد أسباباً - كما ذكرنا - تبيّن ضعف شعر حسان،وربما غلب على حكمه التعميم،وإذا أنعمنا النظر فيها فإن الارتجال لم يكن الصفة الغالبة في شعر حسان ولا كثرة الشعر تمنحنا الفرصة للضعف أمام القوة،فكم من شاعر مكثر يتميز بالجودة والفحولة منه على شاعر مقل يتميز بالضعف. أما التقيد بحدود الدين فلم يكن الدين سبباً للضعف وإنما سبب للقوة بدلالة الالتزام

---

(1) الموشح، ص 343.

(2) فحولة الشعراء، ص 14.

(3) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، أحمد الشايب،. ص 107.

بما يؤمن به لكي تكون المخرجات الفنية موصوفة بالصدق والإجادة، فالتجربة الشعرية وصدقها أمر يحكم قوة الشعر، والشايب نفسه يقول "الشعر القوي الذي يصدر عن عاطفة صادقة وعقيدة قوية" [1].

وقد يعود الضعف إلى قول المغمورين الذين أقبلوا على إنشاد الشعر في هذا العصر [2]. وإذا أخذنا بالضعف الفني لشعر حسّان الإسلامي فإنما يحمد له أنه شاعر نذر نفسه وشعره للإسلام، ونهض بدور إيجابي في إعلاء كلمة الحق والإسهام في انتصاره على الباطل، وبهذا نال بجدارة لقب شاعر الرسول ﷺ وفي هذا اللقب منحى نقدي مهم نال به حسان شهرة على معاصريه فقد كان يقدّم انتصاره على الباطل على سائر الشعراء فينتدب لهجاء المشركين وردّهم والذود عن أعراض المسلمين، وقد كان الحكم الفصل بين الشعراء في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه وقد "فضل حسّان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنّصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام" [3]. وقد أجمع كثيرون على أنه لو قال: شاعر العرب كلها في الإسلام لأصاب [4].

وقد كان لمقولة الأصمعي صداها في دراسات المحدثين مع اتفاق أغلبهم بأن هناك ضعفاً وليناً في بعض إسلامياته، ولكنهم يعزون ذلك إلى ما وضع فيه من نحل. فهذا الأستاذ محمد إبراهيم جمعة يرى أن" من يتعمق في ديوان حسّان يجد أن فحولة الشعراء لم تفارقه في جاهليته وإسلامه وفي فخامة شعره وعذوبته، ولاشك في أن ما يظهر من لين وضعف في بعض إسلامياته ليس أصيلاً في فنّه وإنما هو عارض ساقته

---

(1) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني، ص 107.

(2) الأدب العربي في الجاهلية والإسلام: 69.

(3) أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبي الحسن ابن الأثير الجزري 2/ 9 للاستزادة ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر بن يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي، والإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني 488/1.

(4) الشعر والشعراء 61/1. والأغاني 166/2، 3/4، 327/9 وبلوغ الأرب 25/1 وتهذيب التهذيب 472/1-473.

ظروف طارئة أو منحول دُسَّ عليه لغرض ديني أو فكاهي"[□]. وهذا هو الرأي الذي أخذ به الدكتور يحيى الجبوري، إذ قال:"إن شعر حسان قد أصابه اللين لأنَّه دخل في باب الخير، وترك طريق الفحول من هجاء ومديح وتشبيب وفخر" [بر]. ويرى الدكتور داود سلّوم أن هناك برود عاطفة وضعف حماسة في شعر صدر الإسلام مشيراً بذلك إلى شعراء الأنَّصار واضعاً حسان في مقدمتهم0 [تر]

والحق أننا لا نرى برود عاطفة ولا ضعف حماسة في شعر صدر الإسلام بل على العكس من ذلك فقد كانت الحماسة بكل قوتها وتقنيتها ظاهرةً بشكلٍ واضحٍ وجليٍّ في شعر الأنصار، فضلاً عن أن هذا الغرض هو الذي أعطى للشعر توازنه وقوته. في حين ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن شعر حسّان الإسلامي "كثر الوضع فيه وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة لا لأنَّ شعره لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي، ولكن لأنَّه دخله كثير من الوضع والانتحال"[ير] ويرى أن شعره اختلط بأشعار الأنَّصار[5].

فالدكتور ضيف يبرر شعر حسان من الضعف بسبب الوضع والانتحال فقط، ولعل عوامل الوضع والخلط في شعر حسان تنوَّعتْ وتعددت، إذ " لم يوضع على شاعرٍ في الجاهلية والإسلام من أشعار ما وضع على حسان، إذ كان له في عهد الرسول ﷺ دور خاص، جعل معاصريه ومن جاء بعدهم من الرواة وأصحاب الأخبار ينحلونه أشعاراً كثيرة، فقد كان شاعر الإسلام الأول، ومن يمدحه زكّاه قومه ورفع شأنه، ومن هجاه أذلّه في نسبه وشرفه وخلقه وخفض مكانته "[شم]. ولهذا تسابقت قبائل كثيرة في وضع أشعاراً مختلفة على لسان حسان من أجل علو منزلتها. ولم يقف الأمر هذا على القبائل فحسب، فقد كان للخصومات السياسية السبب

---

(1) ديوان حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة، ص 37.

(2) شعر المخضرمين، الدكتور يحيى الجبوري، ص 46.

(3) ينظر: مقالات في تاريخ النقد العربي، الدكتور داود سلوم، ص 46-47.

(4) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الدكتور شوقي ضيف، ص 81. ؟

(5) ينظر: م ن، ص 80.

(6) ديوان حسان بن ثابت، ص 23

obeikandi.com

الأكبر في وضع الشعر على لسان حسان، فقد استغل الأمويون والزبيريون والعباسيون وغيرهم مكانة حسان في الإسلام ومنزلته عند الرسولﷺ ووضعوا قصائد ومقطوعات مدح على لسان حسان، فكل فريق منهم جعل من شعر حسان شهادة رفيعة وحجة دامغة على أحقية الخلافة وعلى هذا الأساس وضعوا شعراً يتناسب وأهواءهم0 ويقول الدكتور بهجة الحديثي" أما نحن فلا ننكر جودة بعض قصائده الإسلامية، ولكننا لو أقمنا موازنة بين شعره في الجاهلية بعامة وشعره الإسلامي لوجدنا أن شعره الجاهلي يفوق شعره الإسلامي من حيث الأصول الفنية التي ينبغي توافرها في الإبداع الشعري والجودة الفنية"[1].

والحق أن ما وضعوه على لسان حسان لا يرقى إلى شعره لا من الناحية الفنية ولا الموضوعية وعلى الرغم من أن معظم شعره الإسلامي ضعفَ ولانَ من الناحية الفنية وباعتراف الشاعر نفسه إلا أن ما وضع عليه كان السبب الأكبر فيما نسب إليه من ضعف وهو من دون شك منحول وليس لحسان إلاّ الجزء اليسير

فالنقاد المحدثون الذين اعتمدوا على أن الضعف في الشعر الذي وضع على لسان حسان ونسب إليه لم يأتِوا بجديد، وإنما يتبعون الأصمعي فيما ذهب إليه[2]، إذ قال: "حسان أحد فحول الشعراء، فقال:أبو حاتم:له أشعار لينة فقال:الأصمعي تنسب إليه أشياء لا تصح عنه"[3] وهذا رأيٌ نراه وجيهاً، وقد اعتمده محقق ديوان حسان الدكتور سيد حنفي حسنين الذي قال:" إذا قرأنا شعر حسان الإسلامي نلاحظ اختلاف المستوى الفني لهذا الشعر في الإسلام عنه في الجاهلية، فالجاهلي قوي جزل صادق التعبير، ينبض بالحيوية ويتدفق بالأحاسيس التي توارثها العربي جيلاً بعد جيل أما الإسلامي فقليل الذي يحتفظ بمستواه وكثير الذي يسقط ويضعف "[4]

(1) نصوص من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي، الدكتور بهجت عبد الغفور الحديثي، ص 323،

(2) ينظر: النقد الأدبي وقضاياه في العصر الإسلامي (مخطوط)، الدكتور فضل ناصر مكوع، ص 194.

(3) فحولة الشعراء، ص 14.

(4) ديوان حسان بن ثابت، ص 10.

"فهذه الآراء لها قيمتها في إدراك القدماء للوضع الذي رافق الشعر منذ وقت مبكر، والشعراء أنفسهم يدركون ذلك غير أن مجيء ابن سلام عمَّق الرؤية في هذهِ القضية، وقد أولى هذه القضية عناية مهمة، فقد وضع حَّداً لفوضى الشك وأخذ يدرس الشعر بالتنقيح والتفحص واعتمد على الصحيح الذي لا غبار عليه وعلى وجه الخصوص ما وثَّقهُ الرواة وصححه الناقلون الثقات واستجلى الشعر الصحيح من الشعر الفاسد الموضوع وقد نَبَّهَ على أن ما اتفق عليه العلماء فليس لأحد إن يخرج منه،وقد عزا أسباب الوضع إلى عاملين أساسيين: العصبية القبليّة، والرواة الوضاعين.

وإذا كان ابن سلام قد بذل جهدًا جهيداً في الوصول إلى هذه النتائج المرضية، فإن ما كتبه عن هذه القضية في كتابه "طبقات فحول الشعراء " كان الركيزة الرئيسة التي اعتمد عليها المشككون في صحة الشعر الجاهلي، وفي الوقت نفسه فتح للنقاد طريقاً يؤدي إلى تصحيح الخطأ، ومعرفة الحق من الباطل، ورأى أن بعض القبائل كانت تزيد في أشعارها وتنحل شعراءها شعراً ليس لهم وأكد أن الرواة يختلقون في الشعر ويزيدون وينقصون وينحلون الشاعر غير شعره، لقدرتهم على اللغة وتمكنهم من كلام العرب ومعرفتهم بمذاهب الشعراء، ولقرب ذلك الزمّان من أَيّامهم وموافقة طباع بعضهم لبعض.فهذه الإشارة وما تلتها من إشارات ووقفات نقدية مهمة اعتمدت على مقاييس متباينة لإثبات النحل في شعر ما أو نفيه عن شعر آخر. وقد أولى هذه القضية عناية مهمة، فقد وضع حَّداً لفوضى الشك وأخذ يدرس الشعر بالتنقيح والتفحص واعتمد على الصحيح الذي لا غبار عليه وخاصّةً الذي وثقه الرواة وصححه الناقلون الثقات واستجلى الشعر الصحيح من الشعر الفاسد الموضوع، وقد نَبَّهَ إلى أن ما اتفق عليه العلماء فليس لأحد إن يخرج منه، فقال: " وليس لأحد إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه ".(1) ولكنه مع هذا لا

(1) طبقات فحول الشعراء 4/1.

obeikandi.com

يعفي بعضاً من رواة العلم من الغلط، فقال: " وجدنا رواة العلم يغلطون في الشعر، ولا يضبط الشعر إلا أهله "(1).

ورأى أن شعر ما قبل الإسلام ليس خالصاً كله، وإنما فيه الكثير من الشعر الموضوع الذي لا يعتد به، إذ يقول: "وفي الشعر مصنوعٌ مفتعلٌ موضوعٌ كثيرٌ، لا خيرَ فيه ولا حُجَّةَ في عربيته ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج، ولا مثلٌ يضرب، ولا مديح رائع، ولا هجاءٌ مقذع، ولا فخرٌ معجب، ولا نسيبٌ مستطرف، وقد تداوله قومٌ من كتاب إلى كتاب، لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء، وليس لأحدٍ إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه، أن يقبل من صحيفة، ولا يروي عن صُحُفي، وقد اختلف العلماء في بعض الشعر، كما اختلفت في بعض الأشياء، أما ما اتفقوا عليه فليس لأحدٍ أن يخرج منه "(2)، مما يدل على انتباه العلماء على الشعر المصنوع، وأكد أن هذا الشعر المنحول متداول بين الناس في عصره ودعا إلى ضرورة توثيقه وتحصيله، والاعتماد على من وثق بهم من الرواة الذين قاموا بجمع الشعر وتدوينه، وأقر قاعدتين رئيستين لذلك هما: الرواية عن أهل البادية وعرضه على العلماء بالشعر، وأفرد هؤلاء العلماء بدور خاص، إذ جعلهم حجة في قبول الشعر أو رده، فضلاً عن أنهم أهلٌ للثقة والتصديق في عصرهم، لأنَّهم كانوا قريبين من زمن ذلك الإنتاج الأدبي الذي قاموا بجمعه وتدوينه، وعلينا أن نتعمق في آرائهم وأن نقدر جهدهم الجليل، وأن نقبل ما قبلوه ما لم تكن لدينا الحجة القاطعة على خلاف ذلك. وأشار ابن سلام بعد ذلك إلى ضرورة التخصص النقدي، والناقد الحصيف، الذي يكشف عن مواطن الحسن، ومواقع المؤاخذة والتقصير، وفي ذلك يقول ابن سلام: " وللشعر صناعةٌ وثقافةٌ يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم. والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره، ومن ذلك الجهبذ بالدينار والدرهم، لا تعرف جودتها

---

(1) م. ن 4/1

(2) طبقات فحول الشعراء 4/1.

بلون، ولامَسٍّ ولا طراز، ولا وَسْمٍ ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرفُ بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها"[1].

فكلمة "صناعة" هنا ترجمة لكلمة"الفن" للتمييز بينها وبين العلم، والصناعة هي المهارة، أو هي المعرفة التي بلغت بها المهارة حد الكمال، وسميَّ الأدب صناعة لما فيه من المهارة في إصابة المعنى أو ابتكار الخيال أو جمال الفكرة وحسن الصياغة والتأنق في الأسلوب في حين يريد ب(أهل العلم) نقاد الشعر الذين يميزون جيده من رديئة بدليل أنه عقد مقابلة في النص نفسه بين أهل العلم بالشعر ونقاد الدراهم الذين يميزون الصحيح من الزائف.

ويعلق الدكتور جهاد المجالي على قول ابن سلام أن الشعر ثقافة بقوله: " وابن سلام حين يقرر أن الشعر ثقافة فهو يؤكد على وجوب وقوف الناقد على حظ وافر من الثقافة والمعرفة، حتى يستطيع من خلالها التمييز والحكم الصحيح والغوص على خفايا هذه الصنعة ونحن نرى أن نقاداً كابن سلام، وابن قتيبة على سبيل المثال لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بعد أن توافرت لهم ثقافة رفيعة متنوعة شكلت لديهم قاعدة صلبة انطلقوا منها بثبات"[2]فابن سلام رجل عالم لا ريب فيه فهو "رجل صادق أمينٌ روى عنه مسلم ثلاثة عشر حديثاً"[3] وقد نظر لقضية الانتحال نظرة علمية ودعا العلماء "ألا يتركوا للخلف إلاَّ الثابت والصحيح، وأراد أن يشعر الآتين بما يجب عليهم من الحذر والتبصر فيما يسند إلى الجاهليين، بل أراد أبعد من هذا: أراد خدمة الروح العلمية بإسناد كل قول إلى صاحبه وكل شعر إلى شاعره.."[4].

---

(1) م. ن 5/1 والجهبذة:أراد بها هنا نقد الزيوف وفي الصحاح من الدنانير والدراهم.والطراز:هو في الأصل تقدير المستوى:يعني صيغة الدينار والدرهم.والوسم:ما يسك عليه من صورة أو نقش أو كتابة.والبهرج:الرديء من الفضة،فيبطل ويرد.والستوق:إذا كان من ثلاث طبقات، برد ويطرح.

(2) طبقات الشعراء، ص 160.

(3) طبقات فحول الشعراء 37/1 مقدمة الأستاذ محمود محمد شاكر وينظر: تهذيب التهذيب 192/6.

(4) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه إبراهيم، ص 76.

obeikandi.com

وقد وفق ابن سلاّم في منهجه هذا ، إذ نلمس أسباب المصنوع والموضوع في شعر ما قبل الإسلام وأشار إلى البواعث التي حملت الرواة وغيرهم من الناس إلى أن يضيفوا إلى بعض شعراء ما قبل الإسلام على وجه الخصوص ما لم يقولوه، بل وضعه رواة وشعراء محترفون ومقتدرون على التزييف، إذ رأى ابن سلام " أن الرواة زادوا في الأشعار التي قيلت"(□) ويقصد بذلك الرواة الواضعين غير الموثوق بهم وبرواياتهم، وقد أشار إليهم وذكرهم في كتابه وهما : ابن أبي إسحاق وحمّاد الراوية بدليل قوله:"وكان ممن أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثُاء منه محمد بن أبي إسحاق الذي كتب في السير أشعاراً لرجالٍ لم يقولوا شعراً قط، وأشعاراً لنساء، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود فكتب لهم أشعاراً كثيرة أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أدّاه منذ آلاف السنين"(بر). وقد قال فيه أبو عمرو بن العلاء: " فلو كان الشعر مثل ما وضع لابن أبي إسحاق، ومثل ما روى الصحفيون، ما كانت إليه حاجة، ولا كان فيه دليل على علم"(تر).

ومما احتكم إليه ابن سلام من القرآن الكريم قوله:﴿وإنه أهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقى﴾(ير) وقوله:﴿ الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوحٍ وعادٍ وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلاَّ اللّه﴾(5).. وهذا الدليل كاف لابن سلام الذي رفض هذا الشعر، وهناك أدّلة لغوية أخرى ذهب إليها ابن سلام ليعزز نظريته(شم).

ويبدو أن كثرة ماحفظه الرواة من الشعر، وفكرة التكسب من الرواية قادت بعض الرواة إلى التبديل والتعديل في بعض القصائد، وهذا هو الذي أدّى إلى تشكيك بعض الدارسين في صحة هذا الشعر وهو الذي دفع بعضهم إلى إنكاره جملةً وتفصيلاً.

---

(1) طبقات فحولة الشعراء 46/1.

(2) م. ن 7/1-8.

(6) طبقات فحول الشعراء 11/1.

(4) سورة النجم :5.-51

(5) سورة إبراهيم :9.

(6) ينظر: م.ن 9/1، 11، 26، 47.

والحق أن الشعر الجاهلي وقع فيه ما وقع من الزيادة والنقصان إلاّ أنه في أغلبه الأعم كان صحيحاً، فقد ثبتت صحته، ووثقه كثير من النقاد وأصحاب الخبرة والدراية. وإذا كان هناك من خلاف أوتعارض في روايات ذلك الشعر، فإن ذلك أمر متوقع ومفروغ منه، ويمكن أن يكون ذلك في العصور كلها حتى العصر الحديث الذي توافرت فيه الإمكانات الكافية والمقومات التي يعجز عنها الوصف.

ولا ضير فقد كان هناك رواة مصلحون يهذبون وينقحون الأشعار[1] وفي الوقت نفسه كان هناك رواة وضاعون وأكثر هؤلاءِ هم ممن ارتبطوا بالمجالس، إذ وجدوا في القصص وأحاديث السمر مجالاً فسيحاً للزيادة في الأشعار، ولم يتوغلوا في ذلك، فقد كان كثير من شعر ما قبل الإسلام صحيحاً ومنسوباً إلى قائليه من الشعراء المعروفين. أمّا الشعر الذي تحدث عن يعرب بن قحطان وعن عاد وثمود وجديس وعمليق وطسم فهو شعر موضوع[2]، وقد أدركه النقاد القدماء ووضعوا له حداً[3]. وقد أوضحنا أن ابن سلاَّم تعقب ابن أبي إسحاق وأسقط الشعر الفاسد وثبت الرواية الصحيحة[4] وقال " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته،وإنما قصدت القصائد وطوّل الشعر على عهد عبد المطلب أو على عهد هاشم بن عبد مناف ".[5] وإن الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا يمثل مدة قصيرة حددها القدماء بقرنين سبقا الإسلام. وهذا دليل إلى إسقاط ما روي من الشعر القديم الذي نسب لعاد وثمود وحمير.

أما حماد الراوية فقد قال فيه ابن سلام: "كان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به،وكان ينحل شعر الرجل غيره وينحله

(1) ينظر:الموشح28، ص، 184، 182، 25، 95، 85، 28، والعمدة 192/2- 193، ومصادر الشعر الجاهلي، ص 241- 244.

(2) ينظر:مصادر الشعر الجاهلي، ص 245- 247.

(3) ينظر:م.ن، ص 245- 247.

(4) ينظر:طبقات فحول الشعراء24/1 وفيه أن ابن أبي إسحاق أقر وأعتذر أنه لا علم له بالشعر.

(5) ينظر:م.ن1/ 245- 247.

obeikandl.com

غير شعره، ويزيد في الأشعار"[□]. فابن سلام يرى أن اثنين من علماء العرب (ابن أبي إسحاق وحمّاد الراوية) قد زادا على الأشعار ربما لأنَّ ابن أبي إسحاق من علماء السير والأخبار ويأتي بالأشعار بما يتناسب وأحداث التاريخ، ولكنه أدرك ما وقع فيه واعتذر وقال: "لا علم لي بالشعر أُ تينا به فأحمله"، بينما حمّاد فقد زاد على الأشعار كي يظهر تفوقه على غيره من الرواة[بر]. إذن نسأل ونقول هل قلّل هذان العالمان من قيمة الشعر الجاهلي ومن عدد قصائده.

لقد تباينت الآراء حول هذين العالمين فمنهم من اتفق مع رأي ابن سلّام وشاطره في عدم الوثوق براويتهما وهناك من يخالفه والذي يهمنا من هذا الموضوع أن هناك رتلاً كبيراً من العلماء، والرواة الموثوق بهم قد أكدوا صحة شعر ما قبل الإسلام في أغلبه الأعم، . والسؤال الذي يطرح نفسه هو أين يكمن السبب الذي أدّى إلى ضياع الشعر والذي أشار إليه العلماء؟ فهذا أبو عمرو بن العلاء يقول: "ما انتهى إليكم مما قالتِ العرب إلاَّ أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعر كثير"[تر].

والحق أن السبب الرئيس الذي أدى إلى ضياع الشعر وقلته هو انشغال العرب بالدعوة الإسلامية الجديدة، وتأثيرها الكبير في العقول مما صرفهم عن قول الشعر وروايته إلى الاهتمام بالحروب التي كانوا يخوضونها " فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب، وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم، ولهت [العرب] عن الشعر وروايته"[ير].. ولا ريب في أن هذه المرحلة قد شهدت معارك كثيرة أدّت فيما أدّت إلى قتل عددٍ من الروّاة والحفاظ.

غير أن العرب بعد أن اطمأنوا في مواطنهم، وراجعوا ما بين أيديهم من الشعر، وجدوا أن كثيراً من الشعراء والرواة قد هلكوا." فلّما كثر الإسلام، وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار، راجعوا رواية الشعر فلم يؤُولُوا إلى ديوان مدوّن ولا

---

(1) طبقات الفحول الشعراء 48/1.

(2) ينظر: خلف الأحمر مقدمة المحقق، ص 25.

(3) طبقات فحول الشعراء 25/1.

(4) م.ن 25/1 والقول للخليفة الراشدي عمر بن الخطاب ﷺ، ينظر المزهر 158/1.

كتاب مكتوب وألْفَوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك، وذهب عليهم منه كثير[1].وقد جمع الدكتور ناصر الدين الأسد آراء مهمة تقودنا توّاً إلى معرفة أنهم كانوا يؤكدون ما يروونه بعبارات تبرهن على مدى توثقهم بما يروون مثل: "الشعر الثابت الذي لا يرد" و "ثبت قديمه" وقد قالها الواقدي واصفاً شعراً لحسان، ويطمئن الجاحظ إلى أن يستشهد على بعض الأخبار (بالشاهد الصادق) و (بالأشعار الصحيحة) و(أشعارهم المعروفة) و(أخبارهم الصحيحة) إلى ما هنالك من أوصاف[2].

ويرى الدكتور عناد غزوان أن ابن سلام قد أدرك "أن نقد الشعر وتحديد أهميته وقيمته التاريخية والأدبية يعتمد تحقيق النص الشعري المنقود وصحة نسبته إلى قائله وتوثيقه، قاعدة أساسية من قواعده في التحليل والتقويم وإصدار الرأي السليم في بيت من الشعر أو نتفة من نتفه أو مقطوعة من مقطوعاته، أو قصيدة من قصائده"[3].ويرى الدكتور علي حاج حسن أن " الشعر المصنوع لم يكن من الكثرة بحيث يضطرب الدارسون في معرفته أو يتخذون ذلك القليل الفاسد وسيله لاتهام الشعر الجاهلي عامة.ومن التجاوز على أصول البحث العلمي، أن نغلو في تقدير المنحول ونبالغ فيه على مفترضات لم تثبت لنا تاريخياً. ومن الخطأ الفاحش أيضاً أن تؤخذ فكرة الانتحال مركباً ذلولاً لدفع كل ما يغمض على الدرس ويلتبس على الفهم"[4]. ويثني على منهج ابن سلام قائلاً: "وإذا كان ابن سلاّم قد فتح للنقاد طريقاً يؤدي إلى رد المنحول ومعرفة الصحيح من الباطل،فإنه قد وضع في هذا المنهج حدّاً للشك والفوضى، . فليس لأحد أن يرضى لنفسه الشك في شعر معتمداً على رواية مفردة شاذة من الروايات."[5]

---

(1) طبقات فحول الشعراء 25/1.

(2) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 47.

(3) تاريخ النقد الأدبي،ص 63.

(4) أدب العرب في عصر الجاهلية، الدكتور حسين الحاج حسن، ص 93.

(5) م. ن، ص 93.

obeikandi.com

ويبدو أن هذه القضية لم تحظ بأي أهمية عند النقاد المتأخرين حتى جاء أبو الفرج الأصفهاني الذي وقف أمام هذه القضية وعرض لأسباب نحل الشعر ودواعيه عرضاً تطبيقياً واسعاً، لأنَّه من دون شك اطلع على آراء ابن سلام حول أسباب نحل الشعر، لأنَّه أعتمد على كتابه وجعله مصدراً مهماً من مصادر تأليف الأغاني، ورأى الأصفهاني أن من أهم أسباب الانتحال هم الرواة الذين لازالوا يصنعون الأشعار ويختلقون الأخبار تكسباً أو تقرباً أو تباهياً أو ادعاءً.[1] ولم تفته أسباب سبقه إليها ابن سلام وأخذ بها المحدثون فيما بعد وهي العصبية القبلية، سواء التعصب للنسب أم التعصب للمذهب والعقيدة، والصراع السياسي والتنافس بين الأدباء[2] فليس غريباً أن يعمد راوية أو قبيلة أو طائفة إلى التزييد على شاعر من شعراء الصراع لتحقيق غرضٍ ما، وقد يصل به الأمر أن ينسب نصاً لشاعر من شعراء الصراع بينما هو لشاعر غيره رغبةً في التزيُّد والإكثار[3] وقد يقف التحامل والحنق وراء بعض الأخبار الموضوعة، وكذلك إغارة الشعراء بعضهم على بعضهم،[4] ويبدو أن هناك أسباباً كثيرةً أدت إلى نسبة البيت أو القصيدة إلى أكثر من شاعر منها ما يرجع إلى الذاكرة "التي لا تسلم من إدخال حدث في حدث مشابه له أو قريب منه وإحلال كلمة محل أخرى يترتب عليها نسبة الشعر إلى غير قائله، وقد يتعلق الأمر بالرواة أنفسهم من حيث أمانتهم أو تزويدهم بالمادة المروية من حيث ضبطها ونقلها مثلما أراد صاحبها.

ومن الأسباب التي أدّت إلى ذلك اتحاد بعض القصائد في المعنى والوزن والقافية فيشتبه ذلك على الناس فيدخلون أبياتاً في قصيدة أخرى"[1]. وقد يعود الأمر إلى

---

(1) ينظر: الأغاني (دار الكتب) 266/15، 4/2، 18/ 255.

(2) ينظر: م.ن 2/7، 44/22.

(3) ينظر: شعر الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة (السيرة النبوية الأدبية)،الدكتور كمال جبري أمين عبهري، ص 53.

(4) ينظر: م.ن 149/.1، 68/2، 83/.1.

(1) مجلة المجلة 3. ومثال ذلك سينيّة امرئ القيس وسينية بشر بن أبي خازم التي ثبتت في ديوانهما، ينظر: ديوان امرئ القيس، ص 101- 102، وديوان بشر بن أبي خازم، ص 99 والمرجح أنها لبشر وقد رواها المفضل أو أبو عمرو

"اشتهار بعض الشعراء بموضوع أو غرض معيّن أكثروا من النظم فيه أو قصروا عليه أعظم أشعارهم، فعرفوا به وعرف بهم، فإذا سمع الناس أبياتاً مجهولة القائل تدور حول غرض اشتهر به شاعر بعينه أو تشبه شعره ونهجه، صرفوها إليه"(□).

ورأى صاحب الأغاني أن هناك أسباباً منها الغناء وشهرة الشاعر(بر)، وعن التنبيه إلى الشعر المنحول فقد تكررت في مصادر أخرى غير التي ذكرناها منها البداية والنهاية لابن كثير والمزهر للسيوطي وقد عقد السيوطي حديثاً خاصاً عن الشعر المصنوع كرر فيه آراء القدماء كابن سلام وغيره(تر)ثم جاء ابن خلدون وناقش هذه القضية في حديثه عن الإسلام وقضية الشعر(ير).

غير أن قضية النحل قد أثيرت في العصر الحديث وفي كتاب الدكتور طه حسين (في الأدب الجاهلي)، غير أن المستشرقين سعوا إلى معالجة هذه القضية بآراء متباينة، وراحوا يتتبعون النصوص والروايات، ويقارنون فيما بين الأقوال والآراء، ويقفون صفين متناقضين في المذهب، منهم من يرفض الشعر الجاهلي جملةً على أنه منحول. ومنهم من يرى غير ذلك." ولعل أوضح مظاهر الانتحال.. في الشعر المنسوب إلى الجن، وفي الشعر المجهول القائل فقد نُسِبَ إلى الجنَّ شعر كثير وأمثلة ذلك كثيرة في كتب الأدب والتاريخ والسير، فابن كثير مثلاً أفرد باباً خاصًّا في

الشيباني. وقد يحدث التداخل بين قصيدتين للشاعر الواحد وهذا لا يكون إلا في حالة إتحادهما في المعنى والوزن والقافية ينظر: الاتجاهات الفنية :في رواية الشعر الجاهلي(رسالة دكتوراه)، ص 253-258 وهناك من يجعل هذا النوع من الشعر في الاختلاط. ورأى أن الاختلاط غير الانتحال، فالاختلاط يبرز في تنازع نسبة النص بين شاعرين أو أكثر.. كما يبرز في المناسبة التي قيل فيها النص وهذا لايقدح في صحة الشعر وأصالته وإنما يقدح إلى نسبة الشعر إلى شاعر بعينه. ينظر: شعر الصراع بين الإسلام وخصومه في عصر النبوة (السيرة النبوية الأدبية)، ص54. 58.

(2) مجلة المجلة 37. وقد احتملت إشارة الأصمعي هذا المعنى إذ قال الناس يروونها لأمية بن أبي الصلة

من لم يمت غبطة يمت هرماً الموت كأس والمرء ذائقها

قال:وهذا لرجل من الخوارج:الموشح، ص75 والبيت في ديوان أمية بن أبي الصلة،ص 172.

(2) ينظر: الأغاني 4/92- 93، 11/277، 6/115، 2/255.

(3) ينظر:المزهر 1/ 171.183.للاست ينظر:م.ن1/345.344 2 / 414413 زادة.

(4) ينظر: مقدمة العلامة ابن خلدون.

obeikandi.com

البداية والنهاية تحدث فيه عن الجن وأخبارها وأشعارها سماها " باب هواتف الجن" ونجد في الإصابة وفي غيرها شعراً كثيراً منسوباً إلى الجن[1].

لقد اهتم المستشرقون بقضية النحل وأثروها نقاشاً وخاضوا غمارها ، فقد عرض بلاشير في كتابه تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي قضية النحل ورأى أن المستشرق نولدكه أول من تناول الموضوع سنة 1864م،وقد أشار إلى الشكوك التي يثيرها مظهر الشعر الجاهلي، وبعد ثماني سنين تناول القضية آهلوا رد[2] الذي نشر دواوين الشعراء الستة امرئ القيس والنابغة وزهير، وطرفة، وعلقمة وعنترة فأعاد ما ذكره الأول من الشكوك التي تحوم حول صحة شعر ما قبل الإسلام ورأى: "أن القصائد المروّية غير موثوق بصحتها سواء من ناحية المؤلف أو ظروف النظم أو ترتيب الأبيات، فمن الواجب إذن إخضاع كل أثر من القرن السادس وأوائل السابع لفحص دقيق قبل قبوله"[3] وتبع هذين المستشرقين في آرائهما مستشرقون آخرون طوال ثلاثين سنة هم "موير وباسية وليال وبروكلمان"، ويبدو أن ليال كان أكثرهم حماسة في شكه حتى في القصائد المعترف بصحتها[4] ومن ثم في أهمية النصوص المعترف بجاهليتها، ويظهر الموقف نفسه نحو 1904م عند المستشرق (كليمان هوار)، ولكن هؤلاء جميعاً لم يبلغوا في نظرية الانتحال من الشك والإسراف ما بلغه المستشرق الإنجليزي (مرجليوث) الذي أثار عاصفة هو جاء عن

---

(1) ينظر: البداية والنهاية 2/ 334 . 335. والإصابة 1/ 246، 264، 284، 285، 203.و" نسبة الشعر إلى الجن قديمةٌ ترجع تاريخها إلى الجاهلية فقد لها الأعراب والرواة بتسمية الشياطين الذين كانوا يلهمون الشعراء في العصر الجاهلي وبعده وشجعهم على هذا أن القرآن الكريم أفرد سورةً للجنّ تتحدث آياتها عن استماعهم تلاوة القرآن وإيمانهم بالله ورسوله وعودتهم إلى قومهم ليدعوهم إلى الإسلام فكان منهم المسلمون ومنهم القاسطون فراح الرواة يستغلون هذه المعاني القرآنية لخدمة أغراضهم فوضعوا شعراً كثيراً على الجن زعموا فيه انهم شاركوا في حمل الدعوة الإسلامية، وأنذروا العرب ببعث النبي ﷺإلى الناس كافة، وأنهم كشفوا تآمر قريش على النبي عند هجرته إلى غير ذلك من الشعر الظاهر في الانتحال ينظر الإصابة 203/1.

(2) ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي بلاشير، ص 197.

(3) م. ن،ص 198.

(4) ينظر: م.ن، ص 198.

هذه القضية، وذهب إلى رفض الشعر الجاهلي جملة وتفصيلاً، بعد أن ذهب يتخبط تائهاً في آراء جزئية متضاربة وأعتمد فيما أعتمد على الروايات الضعيفة الخيالية سعياً لتحقيق مرامه (الشك في شعر ما قبل الإسلام) ففي سنة 1916م نشر بحثاً عن شعر ما قبل الإسلام في المجلة الآسيوية الملكية، وكان قبل ذلك قد تحدّث عن وضع الشعر في دائرة معارف الأديان والأخلاق عن الكلام عن مادة محمد، وتحدث عن القضية في كتابه محمد ﷺ وظهور الإسلام(□)، ثم ذهب ورفض شعر ما قبل الإسلام جملة في بحث مفصّلٍ نشره في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعدد يوليو 1925م بعنوان (أصول الشعر العربي) وقد ساق مرجليوث نوعين من الأدلة في ادعائه إثبات بطلان شعر ما قبل الإسلام، أدلة خارجية وأخرى داخلية، وقد كان لهذه الأدلة صدى في كتابات النقاد العرب، وللفائدة والإيضاح نعرض بحذر و إيجاز مضمون آراء مرجليوث في النقاط الآتية:

1- إنه بدأ مقالته بالحديث عن وجود الشعر في عصر ما قبل الإسلام فقال" إن وجود الشعر في شبة الجزيرة العربية قبل الإسلام أمرٌ شهد به القرآن حيث تحمل سورة منه اسمه، وأحياناً يشير القرآن إليهم في مواضع أخرى"(بر). وما لبث أن ذهب مشككاً في أمر هذا الشعر، حينما بدأ يذكر الأوصاف التي أطلقها المشركون في حق الرسول ﷺ، وقال "نحن نستدل من هنا بأن الشعر كان غامضاً مبهماً"(تر). وأشار هذا المستشرق إلى بداية الشعر العربي ويقرر أنّها أمرٌ في غاية الغموض، إذ عزا بعضهم شعراً عربيّاً لآدم، بينما أورد آخرون قصائد غنائية عربية منذ عهد إسماعيل(ير).

2- يشكك مرجليوث في حفظ شعر ما قبل الإسلام فيقول: "لنفترض أن هذا الأدب حقيقي فكيف حفظ ؟ لابد أن يكون قد حفظ عن طريق الرواية الشفاهية

---

(1) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 352.

(2) أصول الشعر العربي، مرجليوث، ترجمة يحيى الجبوري، ص53.

(3) أصول الشعر العربي:م.ن، ص 35، ومصادر الشعر الجاهلي، ص 355353.

(4) أصول الشعر العربي، ص54- 56، ومصادر الشعر الجاهلي، ص 355353.

obeikandi.com

وإما عن طريق الكتابة "[1] وذهب يشكك في الرواة: أمثال حمّاد وجنّاد وخلف وأبي عمرو بن العلاء، وأبي عمرو الشيباني وأبي إسحاق والأصمعي والمبرد، متخذاً من طعن بعضهم على بعض دليلاً لشكه زاعماً أن الوضع في هذا الشعر كان مستمراً[2]. ويرى أن القرآن الكريم كان يحّث المسلمين على نسيان الشعر فهو من دون شك يقلل من قيمة الرواية الشفوية للشعر ويقول " ليس لدينا سبب للتفكير بأن مثل هذه المهنة أي الرواية كانت موجودة وإنما يمكن أن تزدهر في العقود الأولى من الإسلام " [3].

3- ولا يسلّم بأن الشعر قد حفظ بالكتابة، لأنَّ القرآن نفى أن يكون للعرب كتبٌ مدللاً بذلك بقوله تعالى: ﴿أم لكم كتابٌ فيه تدرسون﴾ [4]. وينهي القول أن هذا الشعر الموجود بين أيدينا واضحٌ أنّه وضع بعد نزول القرآن لأنَّهُ متأثرٌ بأسلوب القرآن[5].

4- يرى أن شعر ما قبل الإسلام لا يمثل حياة عصر ما قبل الإسلام الوثنية، ولا من تنصر منهم فأصحابه مسلمون لا يعرفون التثليث المسيحي ولا الآلهة المتعددة وإنما يعرفون التوحيد والقصص القرآني. وما في الإسلام من تعاليم مثل الحساب ويوم القيامة، وبعض صفات الله سبحانه وتعالى. فشعر ما قبل الإسلام حسب وجهة نظره لا يمثل الديانات المتعددة. و إنما يمثل الإسلام فقط[6].

5- يقول مرجليوث: "لو أن هذا الشعر صحيح لمثل لنا لهجات العرب المتعددة في عصر ما قبل الإسلام كما مثل لنا الاختلافات بين لغة القبائل الشمالية العدنانية

---

(1) ينظر: أصول الشعر العربي، ص 61.

(2) ينظر: م. ن، ص 63.

(3) ينظر: أصول الشعر العربي، ص 60.

(4) سورة القلم /37.

(5) ينظر: أصول الشعر العربي، ص 60.

(6) ينظر: م.ن 71. وينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 356.

واللغة الحميرية في الجنوب"[□] ويقرر أن هذا كله غير ممثل في شعر ما قبل الإسلام مما يدل على أن هذا الشعر قد وضع بعد نزول القرآن[بر].

من المعروف أن اللغة التي يتحدث عنها مرجليوث ومن تبعه هي اللغة التي لم ينطق بها الشعر الجاهلي، وقد تطورت اللهجات العربية واندمجت لغة الجنوب بلغة الشمال حتى زالت الفروق الجذرية بين اللغتين فغدتا لغة واحدة بعد أن بسطت العربية الفصحى سلطانها على اللغة الأدبية التي كونها الشعراء الجاهليون واستخدموها في نظمهم قبل الإسلام [تر]، وأصبحت الفصحى لغة أدبية مركبة من خليط من لغات الجزيرة العربية شمالها وجنوبها، شرقها وغربها ومن أمصار عربية أخرى.

6- يرى مرجليوث أن النقوش المكتشفة للممالك (المتحضرة) في عصر ما قبل الإسلام ولاسيما اليمنية لا تدل على وجود أي نشاط شعر فيها فكيف أتيح لبدو غير متحضرين أن ينظموا هذا الشعر بينما لم ينظمه من تحضر من أهل هذه الممالك، وقد كانوا على درجة عاليه من التمدن.[ير]

لا شك في أن الحديث المتعلق بالنقوش لم يكن منسجماً مع الموضوع الذي يريده مرجليوث، لأنَّ النقوش التي يتحدث عنها لم تكن جديدة ولم تواكب الشعر الجاهلي ولكنها قديمة العهد قد تصل إلى ما قبل الإسلام بعشرات القرون[سم].

وبعد هذا كله فقد توصل مرجليوث إلى نتيجة لنظريته مؤداها: " والبينة التي أمامنا فيما يتصل بالمسألة الرئيسية تبدو كافية لاعتبار كل الشعر الجاهلي مشكوكاً فيه، وربما أيضاً كل الشعر السابق على العصر الأموي "[شم] وإذا كنا قد استعرضنا ما ذهب إليه مرجليوث، فأنه يتحتم علينا أن نذكر بإيجاز آراء تابعيه

---

(1) أصول الشعر العربي، ص 77.

(2) ينظر: م.ن، ص 78.

(3) ينظر: م.ن، ص 78.

(4) ينظر: أصول الشعر العربي، ص 84-85.

(5) ينظر: قضايا الشعر الجاهلي، علي العتوم، ص 329.

(6) دراسات المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، 127

obeikandi.com

من النقاد من عرب ومستشرقين عن طريق نظراتهم المتفاوتة لقضية النحل التي أثارها هذا المستشرق، الذي يبدو وكأنه قد تناسى تماماً قضية المعجزة لكل نبي في هذه الدنيا، وأن معجزة الأنّبياء تأتي لتنافس أفضل ما يعرف الأقوام عنهم وما توصلوا إليه من علم وطب ومهنة.. إلى ما هنالك.

لقد كانت آراء "مرجليوث حافزاً لكتابات كثيرة، لما حوته من آراء جريئة ومزاعم وتصورات تخطئ الواقع التاريخي وحقيقة حياة ما قبل الإسلام فكان المستشرقون أنفسهم هم الذين ردوا عليه وناقشوا نظرياته وحاجوا مزاعمه ولعله لم يتح للعرب أن يطلعوا على أفكاره و لم يكن لمن اطلع عليها ثقافة قديمة بالشعر تمكنه من مناقشته والرد عليه"(□).

ولاغرو فقد كان للمستشرقين عصا السبق في الرد على آراء مرجليوث يتقدمهم كل من: تشارلس جيمس لايل الذي يرى أن صحة شعر ما قبل الإسلام قد تأكدت له من خلال أسباب وصفات اكتسبها الشعر معتمداً على الأدلة الداخلية (اللغوية ومضمون القصائد وإشارات الدين في الشعر ثم تبعه بروبيتش ولايل وجورجي ولا فيدا الذي أصّل الرواية الشعرية لما قبل الإسلام ورد على مرجليوث ودحض نظرياته.

غير أن هناك من وقف من المستشرقين موقف الإعجاب بقدرة العرب في مجال الرواية وقوّة الحافظة، يقول نولدكه: "إن الشعر العربي نقل بواسطة الرواية الشفوية والتواتر السماعي ولا غرابة في هذا بالنسبة للمقطوعات والقصائد القصيرة، أما المطوّلات فقد كان من التوثيق في حفظها وتداولها وجود فريق من الرجال اختصوا بالحفظ فوعوا أشعار واحدٍ أو جملة شعراء كما كان للشعراء أنفسهم رواة يروون أشعارهم فكان لكل شاعر راويته، وقد يكون ابنه أو ربيبه أو نسيبه أو حبيبه"(بر).

فإذا كان هذا هو رأي أحد المستشرقين فأين نحن من رأي بعض نقادنا الذين استهوتهم شطحات الخيال؟. وإذا عدنا إلى آراء النقاد القدامى فإن هدفهم التأكد

---

(1) ينظر: الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص 164.

(2) ينظر: مصادر الشعر الجاهلي، ص 371-374.

من دراسة النص وفحصه وتحقيقه والتأكد "من سلامة مبناه ومن سلامة نسبته إلى صاحبه حتى تكون أحكامنا في النقد مبنية على أسس سليمة".[1] والناقد الحصيف قادر على أن يميز الصحيح من الزائف وقد استخدم الناقد القديم[2] ذلك.

فنحن كما أسلفنا لا ننكر وجود هذه القضية، وكنا نأمل من النقاد أن يلتزموا في مناقشتها بشيء من العلمية والموضوعية التي حاد عنها بعضهم ووصل به الأمر إلى الإسراف والإفراط والغلو. والمتتبع الدقيق لما كتبه هؤلاء لوجد الحجج على صحة شعر ما قبل الإسلام في كتاباتهم.

وقد وقف النقاد العرب أمام قضية نحل الشعر ويعد مصطفى صادق الرافعي أول من بحث في هذا الموضوع، إذ عرض هذه القضية عرضاً مفصّلاً في كتابه (تاريخ آداب العرب) الذي نشره سنة 1911م، وكان له فضل الجمع لكل ما قاله الباحثون القدماء حول هذا الموضوع،وإن كان يدور في فلك آراء القدماء، وآراء ابن سلام على وجه الخصوص إلاّ أن له مناقشات علمية مهمة وفاعلة [3].

ثم جاء الدكتور طه حسين فدرس قضية النحل دراسة مستفيضة في كتابه (في الشعر الجاهلي) سنة 1926م وكان قد ناقش فيه ثلاث قضايا مهمة هي:

- دوافع الشك في الشعر الجاهلي.
- أسباب الوضع والنحل.
- تطبيق منهجه في دراسة فريق من الشعراء والشك في نسبة الشعر إليهم.

فأحدث هزّة قوية في بناء هذا الصرح "أثارت كثيرين من المحافظين والباحثين فتصدوا للرد عليه،ولم يلبث أن ألفّ مصنفه (في الأدب الجاهلي) الذي نشره في سنة 1927م وفيه بسط القول في القضية بسطاً أكثر سعةً وتفصيلاً، إذ زوّدها ببراهين

---

(1) أسس النقد الأدبي عند العرب، ص 294.

(2) ينظر: الوساطة، بين المتنبي وخصومه، ص 159.

(3) ينظر: تاريخ آداب العرب 1/ 372-378،379-382، 384، 389.

obeikandi.com

جديدة."[1] وصياغة جديدة لآراء مرجليوث وفي هذا السياق قال الشيخ محمد الخضر حسين إن الدكتور طه حسين "أغار على نظرية الشك في الشعر الجاهلي ولم يفترق عن مرجليوث إلا في تسليمه بأن هناك شعراً جاهلياً فأخذ أصل النظرية وأقوى الشبه التي استند عليها مرجليوث.."[2] ولعل تسليم الدكتور طه بأن هناك شعراً جاهليّاً قليلاً جداً يعطينا بصيصاً من الأمل بعد أن توصل إلى نتيجة مؤداها: "إن الكثرة المطلقة مما نسميه أدباً جاهليّاً ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة بعد ظهور الإسلام، فهي إسلامية تمثل حياة المسلمين وميولهم وأهواءهم أكثر مما تمثل حياة الجاهليين، وأكاد لا أشكّ في أن ما بقى من الأدب الجاهلي الصحيح قليل جدّاً، لا يمثل شيئاً، ولا يدل على شيء ولا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الأدبية الصحيحة لهذا العصر الجاهلي"[3] ومن هذه المقولة يتبين أن الدكتور طه حسين لا يشكُّ في كل الأدب المنسوب إلى الجاهليين بل يصب الشك عنده على الكثرة المطلقة من الأدب الجاهلي. أما الجزء القليل الباقي مما ذكر فلا ينبغي الاعتماد عليه في استخراج الصورة الصحيحة للعصر الجاهلي، وما نراه أن ما وصل إلينا مما قاله العرب الجاهليون قليل جداً، وقد نص على ذلك الرواة الأقدمون نصّاً صريحاً واضحاً ورد في طبقات فحول الشعراء عن أبي عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّهُ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير"[4]. ولكن علينا أن نسأل هل هناك نقاط اتفاق عن القلة التي يعنيها أبو عمرو بن العلاء والقليل الذي يعنيه الدكتور طه حسين؟ إننا نؤكد قطعاً أن القلة القليلة التي يعنيها الدكتور طه حسين هي غير ذلك الجزء القليل الذي يعنيه أبو عمرو بن العلاء، فقليل طه حسين ما هو إلا غيض من فيض قليل أبي عمرو، والأروع من هذا " أن هناك جزءاً متفقاً على صحته وأصالته. وإذا كان هذا الجزء القليل صحيحاً فلماذا نهمله ولا نعتمد عليه ؟ فإذا لم يكن كافياً لإعطاء صورة كاملة عن العصر الجاهلي،

---

(1) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، محمد الخضر حسين ص 65.

(2) نقض كتاب في الشعر الجاهلي، ص 43

(3) في الأدب الجاهلي، ص 65. وينظر: من تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، طه حسين 1/ 96.

(4) طبقات فحول الشعراء 1/ 14.

فليس أقل من أن يعطينا صورة صحيحة جزئية تمثل الناحية التي ينص عليها!"[1] "وإذا كانت المسألة تعتمد على مجرد الاعتقادات والآراء، فهناك آراء كثيرة تنظر إلى هذه القلة القليلة الباقية من الأدب الجاهلي نظرة تقدير واحترام، وكثير من المستشرقين يعتقدون ذلك منهم نيكلسون يقول:

"إن مزايا العصر الجاهلي وخواصه، مرسومة صورها بأمانة ووضوح في الأغاني والأناشيد التي نظمها الشعراء الجاهليون، ويزيد قائلاً إن الأدب الجاهلي المنظوم منه والمنثور يمكننا من تصوير حياة تلك الأيام الجاهلية تصويراً أقرب ما يكون من الدقة في مظاهره الكبرى"[2] ويقول ثوربيكة الألماني: " يمكن تعريف الشعر الجاهلي بأنه وصف مزينٌ بالشواهد للحياة الجاهلية وأفكارها، فقد صور العرب أنفسهم في الشعر صورة منطبقة على الحقيقة بدون تزوير ولا تشويه "[3]. ورأى الدكتور طه حسين أن شعر ما قبل الإسلام لا يمثل الحياة الدينية والعقلية والسياسية والاقتصادية لعصر ما قبل الإسلام[4] وإن هذا الشعر بعيدٌ كل البعد عن أن يمثل اللغة العربية في ذلك العصر لأنَّ هناك خلافاً قوياً بين لغة عدنان ولغة حمير، فيقول:"ولدينا الآن نقوش ونصوص تمكننا من إثبات هذا الخلاف في اللفظ وفي قواعد النحو والتصريف " ويستشهد بتحريف قول أبي عمرو بن العلاء:" ما لسان حمير بلساننا، ولا لغتهم بلغتنا " ويقول الدكتور طه حسين:" إذن نستطيع أن نقول أن الصلة بين اللغة العربية الفصحى التي كانت تتكلمها العدنانية، واللغة التي كانت تتكلمها القحطانية في اليمن إنما هي كالصلة بين اللغة العربية وأي لغة أخرى من اللغات السامية المعروفة.. وإذا كان إسماعيل قد تعلم العربية من أولئك العرب الذي نسميهم العاربة فكيف بَعُدَ ما بين اللغتين العاربة والمستعربة".

---

(1) أدب العرب في عصر الجاهلية، ص 99.

(2) الشهاب الراصد، ص 40، نقلاً عن أدب العرب في عصر الجاهلية، ص 99.

(3) الشهاب الراصد، ص40، نقلاً عن أدب العرب في عصر الجاهلية، ص 100.

(4) ينظر: في الأدب الجاهلي، ص 72-73.

obeikandi.com

ويرى أن الشعر الجاهلي بعيدٌ كل البعد عن أن يشتمل اللغة العربية في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه، ومن ثم شك في الشعر الجاهلي لأنَّه كما يقول جاء عن طريق الرواية الشفوية.

و يبدو أن الدكتور طه حسين قد اتكأ على مقولة أبي عمرو بن العلاء التي جاءت في كتاب طبقات فحول الشعراء "ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"[1]. غير أن الدكتور طه عمد إلى تحريفها وجعلها تتلاءم مع منهجه فقال: إن أبا عمرو بن العلاء قال: "ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا"[2] وقد علق الشيخ محمد الخضري عن هذا التغيير والتحريف للنص بقوله: " ومن الغريب أن الأستاذ لما أراد الاحتجاج بعبارة أبي عمرو بن العلاء أخطأ مرتين: الأولى أنه حذف منه قوله: (وأقاصي اليمن)، والثانية أنه لم يذكر العبارة السابقة عليها في بيان مذهب أبي عمرو بن العلاء في أنساب العرب.. " ومن ثم غيَّر الجزء الأخير من عبارة أبي العلاء (ولا عربيتهم بعربيتنا) فجعلها (ولا لغتهم بلغتنا)، والمتأمل في النصين يدرك الفرق بإعجاب لغياب الروح العلمية للبحث، وهذا الأمر دفع النائب العام أثناء محاكمة الدكتور طه حسين أن يقول:" وقد يكون للمؤلف مآرب من وراء تغيير النص، وتبعاً لذلك قال نديم الملاح: "فقول أبي عمرو: ولا عربيتهم بعربيتنا صريح في بعض المفردات وشيء من الأعراب، فهل من المنطق أن يستنتج من هذه العبارة أن اللغة القحطانية غير اللغة العربية، قال ابن جني في كتاب الخصائص عن اللغة القحطانية: (إنها لغة عربية قديمة)، وسمى الاختلاف الذي بينها وبين العدنانية بعداً، ولم يقل أحد من الرواة أن اللغة القحطانية غير عربية وأن القحطانيين غير عرب"[3] ولكن مقولة أبي عمرو بن العلاء تشير إلى اختلاف جزئي في بعض المفردات، والبعض يرى أن الفرق بين اللغتين عائدٌ إلى اختلاف اللهجات فليس الفرق كبيراً بحيث أن العلاقة هي علاقة اختلاف جذري لا تقارب ولا التقاء بينهما. ولكن هذا الاختلاف لا يخرج عربية اليمن القديمة عن اللغة العربية وقد قلَّلَ الدكتور

---

(1) طبقات فحول الشعراء 4/1.

(2) من تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، طه حسين 97/1

(3) في الميزان، نديم الملاح، ص 41 ـ 42.

طه حسين من منزلة اليمن الشعرية ،وربما تطاول على عربيتها مع العلم أن القحطانيين هم العرب العاربة ، وهم الناطقون بالعربية وهم من أصل عربي خالص، والقحطانيون عند ابن قتيبة " هم الشعوب المنحدرة من (اليمن)، التي ولدت فيها اللغة العربية، وهم الذين يسميهم أقدم تراثٍ عربي نسبيٍّ(القحطانيين)، أما العرب المستعرَّبة في ذلك التراث، فإنهم (العدنانيون)، وهم عرب كذلك "[1].

وإذا أنعمنا النظر في ما ذهب إليه مرجليوث وتلميذه طه حسين في آرائهما المتقاربة الأهداف في شطحاتها الخارقة والتي أكد ت قطعاً أنه لا يوجد نشاط شعري في اليمن، ولكي لا نتهم بالحياد فإن ردنا سيكون علمياً ووجيهاً ؛لأنَّنا نعززه برأي عالمين جليلين وشيخين نابهين وناقدين حصيفين ومتمكنِين شهد لهما القاصي والداني بمعرفتهما بالشعر ونقده الأول أبو عمر بن العلاء فقد قال: " أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن: فأولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة، ثم بجيلة في السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحيةٍ منها، ثم سراة الأزد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن نصر بن الأزد"[2] والآخر عبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب كتاب فحولة الشعراء الذي سبق إن ذكرناه مراراً في فصول هذه الدراسة فقد أورد خبراً مهمّاً في هذا الكتاب يحكيه لتلميذه أبي حاتم السجستاني قال فيه: "سئل شيخٌ عالمٌ عن الشعراء، ، فقال: كان الشعر في الجاهلية في ربيعة. وصار في قيس... ثم جاء الإسلام فصار في تميم. قلت للأصمعي: لمَ لم يذكر اليمن؟ (فقال): إنما أراد بني نزار فأما هؤلاءِ كلهم فإنما تعلموا من رأس الشعراء: امرئ القيس، وإنما كان الشعر في اليمن"[3]. إن في مقولة الأصمعي إجابة دقيقة وشاملة لكل التجاوزات والآراء الجزئية، وقد علق الدكتور صالح الصايلي على مقولة الأصمعي بقوله:"لا أفهم سبباً لعدم وقوف العلماء قدماء ومحدثين على هذا الخبر، وصاحبه

(1) ينظر: م.ن، ص 72-73.

(2) العمدة 1/ 88 .89.

(3) فحولة الشعراء، الأصمعي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني،ص 35.

obeikandi.com

مشهودٌ له بيد طولي في توثيق نقد الشعر العربي ! وأوقن بأنه لو وقف عليه كان الحال سيتغير كثيراً من الوهم الذي بنيت عليه الأحكام الظالمة لليمن وصلته بالشعر العربي"[1]. ولا يقتصر مجهود الأصمعي على الفحولة فحسب بل تعددت جهوده العلمية وتنوعت في مجالات كثيرة، وقد " ألف الأصمعي (كتاباً آخر هو تاريخ الملوك الأولية) كما حبر عنوان المخطوط (تاريخ العرب قبل الإسلام) كما سماه محقق الكتاب الشيخ محمد حسين آل ياسين، وقد خصص المؤلف جل هذا الكتاب للحديث عن ملوك اليمن وقصصهم وأشعارهم.. وما أجمعت عليه المصادر العربية: قصة وفد قريش الذي زار الملك سيف بن ذي يزن الحميري بقيادة عبد المطلب بن عبد مناف، وفيه الشاعر أمية بن أبي الصلت الذي قال قصيدة يمدح فيها الملك الحميري. ومجالس الملك قيس بن معد يكرب مع الشعراء واستشاده لهم الشعر، وكان الأعشى هو فارس المجالس كما كانت مجالس أدبية لكثير من ملوك اليمن "[2]. ومما يشفي غليلنا أن الأصمعي قد تجشم عناء السفر إلى اليمن لغاية العلم، وقد ذكر الحموي خبراً عن الأصمعي قال فيه:" وقفت باليمن على قرية فقلت لامرأة: بمَ تسمى هذه القرية ؟ فقالت: أما سمعت قول الشاعر الأعشى:

أحـــــبُّ أثافـــــةَ ذات الكـــــرو ... مٍ عنـــــد عصـــــارة عنابهـــــا[3]

---

(1) المعالم اليمانية في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، صالح الصايلي، ص 119.

(2) تاريخ العرب قبل الإسلام، الأصمعي، تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين،ص 52.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، 1 /89. والبيت في ديوان الأعشى 1 / 222، مع اختلاف يسير في الرواية:

أحبُّ أثافتَ وقت القطافْ ... ووقتَ عصارة أعنابها

وأثافت قرية باليمامة كثيرة الكروم ويقال إن الأعشى كان يعصر فيها الخمر في معصرله، ويبدو أن هناك باليمن قرية تسمى أثافة. بدليل أن الشاعر ذكر أعلاماً يمنية مهمة فقد قال في البيتن الآتيين :

وكعبة نجران حتمٌ عليـ ... ـك حتى تناخي بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيحْ ... وقيساً هم خير أربابها

وقد اختلف العلماء في حقيقة كعبة نجران التي أشار إليها الأعشى في هذه القصيدة، فقال بعضهم إنها قبة من جلد، وقال آخرون أنها غرفة، وجعلها بعضهم بيعة وجعلها البعض الآخر ديراً كبيراً. ينظر م. ن، ص 220 . 221.

ولكن لا يعني أن الأمر اقتصر على رأي الأصمعي في ريادة اليمن للشعر العربي فقد قال ابن رشيق القيرواني: "وقومٌ يرون تقدمة الشعر لليمن في الجاهلية بامرئ القيس، وفي الإسلام بحسان بن ثابت، وفي المولدين بالحسن بن هانئ وأصحابه: مسلم بن الوليد وأبي الشيص، ودعبل، وكلهم من اليمن، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين: حبيب والبحتري، ويختمون الشعر بأبي الطيب، وهو خاتمة الشعراء لا محالة.. فيقولون: بدئ الشعر بملك وختم بملك"[1] ولو تتبعنا مشاهير الشعراء في العصور كلها لأخذت اليمن نصيب الأسد مضاعفاً من الشعر والشعراء.

ومن حق الباحث الصايلي أ ن يتساءلَ عن تجاهل العلماء والنقاد المحدثين لهذه الأخبار الموثقة التي تؤكد أن لليمن قصب السبق والريادة الحضارية والشعرية، وقد ناقش ذلك بشكل علمي متميز وقال: " إن هذا الموقف في اتهام شعر اليمن القديم بالوضع والنحل قد ورثته الأجيال اللاحقة، وروجت له لدرجة أنها تتجاهل الوقوف على المصادر اليمانية القديمة حتى في الأشعار المتصلة بتراث اليمن وتاريخه. وهو الأمر الذي أوقعها في أخطاء تاريخية.. وهو الأمر أيضاً الذي لا يجعلني أندهش من موقف الدكتور طه حسين تجاه شعر اليمن وسلفه في المواطنة جلال الدين السيوطي "[2] والمستشرقين المتخبطين. وفي ختام نقاشه لهذه القضية يقول الصايلي:"لست في هذه الدراسة بصدد مناقشة هذه القضية أو معالجتها، فقد كفاني الرد عنها عدد من الباحثين عند مناقشتهم وتشريحهم لنظرية الدكتور طه حسين، لكنهم كانوا يطرحونها عامة، وما نحتاجه في اليمن هو التخصيص، ولذا سأخصص لاحقاً مبحثاً للمواقف النقدية المدعمة بالنماذج الشعرية التي تؤكد بما لايدع مجالاً لأدنى شك تعاطي اليمن مع الشعر الجاهلي وهو مما خلت منه مناقشاتهم والتي اعتمدت التنظير أكثر من التمثيل"[3].

---

(1) العمدة 1/ 89.

(2) المعالم اليمانية في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير)، صالح الصايلي، ص 122.

(3) ينظر: م.ن، ص 122.

obeikandl.com

وفي حديثه عن أسباب النحل في شعر ما قبل الإسلام فقد أرجعها الدكتور طه حسين إلى سياسية ودينية وقصصية وشعوبية وأدبية (المتعلقة بالرواة) (□) أمّا مسألة الشك في كثير من فحول الشعراء الجاهليين فقد قال: " ولن نستطيع أن نعترف بأن ما يروى من سيرة هؤلاء الشعراء الجاهليين وما يضاف إليهم من الشعر تاريخ يمكن الاطمئنان إليه أو الثقة به، وإنما كثرة هذا كله قصص وأساطير لا تفيد يقيناً ولا ترجيحاً.وإنما تبعث في النفوس ظنوناً وأوهاماً.. ذلك أن أخبار الجاهليين وأشعارهم لم تصل إلينا من طريقة تاريخية صحيحة، وإنما وصلت إلينا من هذه الطريقة التي تصل منها القصص والأساطير، طريق الرواية والأحاديث، طريق الفكاهة واللعب، طريق التكلف والنحل"(بر). وقد حدد شكه في شعر مجموعة من شعراء ما قبل الإسلام الذين تناولهم مثل امرئ القيس وعلقمة الفحل وعبيد بن الأبرص وعمرو بن قميئة والمهلهل بن ربيعة وجليلة(أخت جسَّاس وزوجة كليب بن ربيعة) وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وطرفة والمتلمس(تر). فضلاً عن نكرانه لشعر اليمن وشعر ربيعة ". أما الشعر المضري المتمثل بأوس بن حجر وزهير وكعب والحطيئة، فقد حاول الدكتور أن يجعله مقياساً فنياً لصحة الشعر(ير).

والمؤلف في هذا الباب يستعرض أبرز شعراء الجاهلية، ويشك كثيراً ويبالغ في شكه لما يعرف إليهم من شعر، وهو في كثير من الأحيان يعيد ما تحدث عنه في الفصول السابقة وما يتعلق باللغة الجنوبية والشمالية، والرواية الشفوية، وقصص الروايات والأساطير، حتى لا يبقى شاعراً منهم إلاَّ وسلخه في هذه الأسباب سلخاً لا يبقي له لحمة شعر تذكر، والله المستعان على منهجه هذا الذي فهمه طه حسين

---

(1) كتاب العرب، ابن قتيبة ضمن رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، ص 278. وينظر: ابن قتيبة الدينوري أديب الفقهاء وفقيه الأدباء،المستعرب الفرنسي جيرار لوكونت، ترجمة الدكتور محمود المقداد، ص 558.

(2) في الأدب الجاهلي، ص 173.

(3) ينظر:في الأدب الجاهلي، ص (119-131)، (132-147) (147-158) (159-166) (167-173).

(4) ينظر: م.ن، ص 296،297.

بشكلٍ يخالف حتى صاحب المنهج نفسه ديكارت "[1]. وإذا أنعمنا النظر في الشعر الجاهلي فقد كان فعلاً على قدر كبير من القيمة الفنية والموضوعية وقد اعتنى به وبروايته الجّم الكبير من العرب قادة وعلماء وفي الوقت نفسه انبرى جماعة من الرواة الثقات منهم أبو عمرو بن العلاء والمفضّل الضبي والأصمعي وابن سلام وابن هشام وغيرهم كثير، وقد خصصت مدرستا الكوفة والبصرة لهذه المهمة، وأجمع الرواة على الصحيح وهذّبوه ونقحوه ودوّنوه بعد جهد وعناء كبيرين، وقد وصل إلينا عن طريقهم كما هو في مظان أمهات مصادر الأدب العربي لذلك فلا داعي ثانية للتشكيك في شيء أجمع عليه العلماء وهم أولى بهذه القضية منّا وأقرب إلى ذلك العصر ولديهم المقومات والمقدرات للتصديق والتكذيب، ويستحسن أن يغلق هذا الباب حتى لا تصطدم الأجيال القادمة بإخطبوط وأهواء المستشرقين ومن تبعهم من المشككين العرب.

ومهما يكن الرأي في هذا الحديث ومقدار صحته ومصداقيته، فإننا نعتقد بأن الرواة الذين اتهموا بنحل قصائد كثيرة ووضعها على ألسنة شعراء لديهم من الموهبة العالية وغزارة العلم والمعرفة ما يجعلهم بصيرين بالشعر ويطرح الدكتور مفيد قميحة عدداً من الأسئلة ردّاً على المتهمين والمشككين في صحة شعر ما قبل الإسلام وهي "لماذا يضع حماد وأمثاله مثل ذلك الشعر؟ ولماذا ينسبونه إلى غيرهم من الشعراء؟ وما الأسباب المجهولة إلى نظم ذلك الشعر وإلحاقه بغير ذواتهم؟"[2] وهذه الأسئلة تجيب عن نفسها لأنَّها أسئلة مشروعة ولكنه يرى أن "الإجابة عليها تقتضي كثيراً من الحذر في قبول الاعتذار والتعليلات التي لا يقرّها منطق الطبيعة الإنسانية فهل بلغ التواضع عند هؤلاء الرواة إلى هذه الدرجة من الإيثار الذي يسحق النفس ويميت العبقرية والذات من أجل إحياء شخصيات بائدة؟ إن ذلك في رأينا أمرٌ لا يتصوره العقل ولا يتقبله المنطق السليم وخصوصاً إذا ما نحن نظرنا إلى أهمية

---

(1) في الشعر الجاهلي، الدكتور رعد أحمد الزبيدي، ص 75.

(2) شرح المعلقات العشر، ص 31.

obeikandi.com

الشاعر ومكانته التي لا تتسامى في ذلك العصر"[1] ويضيف الدكتور قميحة شيئاً مهماً بقوله: "ولو كان ذلك الشعر لغير الذي نسب إليهم أو لأنَّاسٍ مجهولين؟ أو مختلفين، لما تردد حمّاد وخلف وإضرابهما قيد لحظة من نسبته إلى أنفسهم، لأنَّ ذلك يرفع من شأنهم، ويؤكد موهبتهم ويعزز مكانتهم الاجتماعية والفكرية على السواء"[2].

ويرى الدكتور طه حسين أن "كثرة الحروب استوجبت موت العديدين من الرواة والحفاظ فضاع بذلك الكثير من الشعر فاستكثر العرب في بني أميّة من الشعر الجديد المختلق ونحلوه إلى الجاهليين.." فهل موت بعض الحفاظ والرواة يؤدي إلى النحل؟ "وإذا فرضنا جدلاً موت الحفاظ والرواة في أوائل ملك بني أميّة، فإنه يكون قد بقي التابعون وكلهم في حكم الحفظ لقرب العهد بهم، فهل ذهب الحياء من الشعراء يومئذ لحد أن يختلقوا الشعر ويزوروه على الجاهليين وهم يعلمون وجود المعاصرين لرواة الشعر الجاهلي".[3] ولكن الأمر غير هذا فحماد قد ينحل بعض أشعار الجاهليين وينسبها له أو لمعاصريه بدليل أنه قدم "على بلال بن أبي بردة البصرة وعند بلال ذو الرُّمة، فأنشده حمّاد شعراً مدحه به، فقال بلال لذي الرمّة كيف ترى هذا الشعر؟ قال جيداً وليس له، قال: فمن يقوله؟ قال: لا أدري إلاّ أنه لم يقله؛ فلمّا قضى بلال حوائجَ حمّاد وأجازه، قال له: إنّ لي إليك حاجة، قال: هي مقضية، قال أنت قلت ذلك الشعر؟ قال: لا؛ قال: فمن يقوله؟ قال: بعض شعراء الجاهلية، وهو شعر قديم وما يرويه غيري؛ قال: فمن أين علم ذو الرمّة انه ليس من قولك؟ قال: عرف كلام أهل الجاهلية من كلام أهل الإسلام"[4]. فهذا الخبر في أمر النحل تنبه له من هو معاصر لحماد وأعيدت الأشعار المنحولة لقائليها.

---

(1) م.ن، ص 3231.

(2) شرح المعلقات العشر، ص 32.

(3) الشعر الجاهلي.

(4) الأغاني 6/97-98.

obeikandi.com

وهذا يدل على أن قضية نحل الشعر من القضايا التي مسّت الشعر العربي وهذا الموقف يؤكد خبرة ذي الرمّة لطول مدارسته الشعر وممارسته له فذوقه المرهف كان من السمات الرئيسة التي جعلته يميز بين شعر ما قبل الإسلام والشعر الإسلامي ويعيد الشعر إلى مجراه الذي انطلق منه. ولحماد مواقف من هذا القبيل كثيرة تارة له وأخرى عليه، فقد روى ابن سلام خبراً عن يونس مؤداه أن حمَّاداً حينما قدم البصرة أنشد بلالاً بن أبي بردة قصيدة قالها ونحلها الحطيئة يمدح أبا موسى، فقال له قد علمت أن هذا شيء قلته أنت ونسبته إلى الحطيئة وإلا فهل كان يجوز آن يمدح الحطيئة أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ولكن دعها تذهب في الناس وسيروها حتى تشتهر"[1]. وعلى هذه المقولة لنا كلام لأن العلماء قد اختلفوا فيها فإذا كان يونس بن حبيب قد قال: إنَّ حمَّاداً وضع القصيدة الميمية في مدح أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ونحلها الحطيئة"[2] فإن المدائني وهو من مدرسة البصرة نفسها، وكان معاصراً ليونس وابن سلام أكد" أنَّ الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة، قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو "،وما يعزز رأي المدائني أن العلماء الذين جمعوا ديوان الحطيئة وشرحوه بعد حمَّاد أثبتوا هذه القصيدة في ديوانه ولم يأخذوا بالرأي الذي أورده ابن سلام عن يونس. فهذا ابن حبيب قد روى هذه القصيدة عن ابن الأعرابي وعن أبي عمرو الشيباني معاً، وأثبتها السكري عن ابن حبيب في شرحه لديوان الحطيئة[3]. وهذا الرأي هو المرجح. ويبدو أ ن التنافس بين المدرستين: البصرة والكوفة هو الذي أدَّى إلى الشك والطعن في القلة القليلة من الرواة عند بعض النقاد المحدثين، أما الدكتور طه حسين فيبدو أن شكه كان مطلقاً غير أن تركيزه انصب على حماد وخلف وأبي عمرو الشيباني الذي كان من أكثر الرواة ثقة [4]، غير أن هجومه على حماد

---

(1) م.ن 98/6، وغضب بلال بن أبي بردة على حماد لأنه راوية الحطيئة.

(2) الأغاني 2/ 186.

(3)ديوان الحطيئة، ص 34. 35.

(4) ينظر: في الأدب الجاهلي، ص 16..

obeikandi.com

الراوية وخلف الأحمر كان قاسياً جداً، فقد ذهب إلى ما هو أبعد من الانتحال فقال: "كان كلا الرجلين مسرفاً على نفسه ليس له حظ من دين ولا خلق ولا احتشام ولا وقار، كان كلا الرجلين سكيراً فاسقاً.. وكان كلا الرجلين صاحب شك ودعابة ومجون "،(□) ولا شك في أن لهذين العالمين دراية كاملة بالشعر والنقد وقد اعترف بجهودهما نخبة من معاصريهما من العلماء وقد تصل المنافسة بين العلماء إلى التشكيك في بعض الموضوعات " وليس غريباً أن يكون لهذين الراويين العظيمين المتفوقين في عالم الحفظ والرواية من منافسين لهما وبخاصة في عصرهما، يراقبون كل هفوة لهما، ونحن لا ننكر أنه قد يكون من الممكن وهذا أمر بديهي أن تجد لهما هفوات، فالكمال المطلق لله عزَّ وجل وعلى حد قول المثل:"لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة".. كما لا ننسى أن المنافسة على الشهرة قد تدفع إلى الحسد والافتراء."(بر) وقد علق الدكتور محسن غياض على نزعة التحدي وغيرها من الصفات التي يمتلكها الدكتور طه حسين بقوله: "كانت نزعة التحدي وحب القوة والغلبة أبرز صفات أستاذنا العظيم الدكتور طه حسين طيب الله ثراه وغفر له، وكان يحب أن يثير حول نفسه ضجيجاً وعجيجاً، ويدفع الناس دفعاً إلى الخلاف والخصومة والمناقشة، وما يقتضيه ذلك من القراءة والبحث والتفكير، وقد عمد في سبيل ذلك إلى هز كثير من المسلّمات والتشكيك في كثير مما عده الناس من البديهيات، ومن أجل ذلك كان كتابه الرائد في الأدب الجاهلي وما دار حوله من حركة علمية مباركة، وما نتج حوله من نشاط علمي خصب تمثل في تلك الكثرة من الكتب والمقالات التي نشرت في الرد عليه خاصة، وقل مثل ذلك عن بعض فصول حديث الأربعاء وكتابه عن أبي الطيب المتنبي"(تر).

---

(1) م. ن.

(2) أدب العرب في عصر الجاهلية. الدكتور حسين الحاج حسين، ص 111.

(3) على هامش قضية الانتحال (مقال)الدكتور محسن غياض عجيل، مجلة المورد العراقية، المجلد السادس والعشرون، العدد الأول 1418. 1998م، ص 21.

openkanal.com

لقد ألهب كتاب الدكتور طه حسين معركة أدبية شديدة لا يشق لها غبار في النقد العربي الحديث، ولم تقف المسألة عند هجوم الكتاب على شعر ما قبل الإسلام، بل نظر لفيف من الباحثين على أنه هجوم على القرآن وتشكيك فيه، لأنَّ الكتاب ورد فيه ما يتعارض مع الحقائق القرآنية الثابتة مثل قول الدكتور طه: "للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا - أيضاً - ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي وجودهما التاريخي."[1].

ولا ريب في أن ذلك يحدث جدلاً عنيفاً شغل الحياة الأدبية والفكرية برمتها. وقد تصدى النقاد العرب له منهم الأستاذ محمود محمد شاكر، وكان قد عرف ما في جعبة أستاذه الدكتور طه حسين قبل إن ينشر كتابه، فقد قال: "وأستطيع أن أقول إن الناس عرفت الكتاب عن طريقي قبل أن ينشر، فقد كتبت مهاجماً الكتاب لأنَّه بما حواه كان كتاباً يهز العقائد"[2]. ولم يقف محمود شاكر من المعركة عند هذا القول بل ذهب إلى أمصارٍ شتّى وعلى وجه الخصوص سافر إلى بيئة الحجاز ليعيش في نفس البيئة التي عاش فيها شعراء الجاهلية، ليجمع الأدلة الواقعية الدقيقة التي يواجه بها آراء أستاذه الدكتور طه حسين [3]، وكان قد نشر ردّاً على الكتاب في مقدمة كتابه عن المتنبي.

وكان من النقاد البارزين الذين نقدوا كتاب طه حسين الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في مقالاته التي نشرها بجريدة (كوكب الشرق) بعنوان المعركة بين القديم والجديد وأصدرها في كتاب بعنوان (تحت راية القرآن) عام 1926م، وكتاب محمد الغمراوي في كتابه (النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي) عام 1929م، وقد قام منهجه على عقد مقارنة بين كتاب (طبقات الشعراء)لابن سلام وكتاب (في الأدب الجاهلي) للدكتور طه حسين ولم يجنح الغمراوي إلى الطعن بل

---

(1) في كتاب الشعر الجاهلي، ص 26 وينظر: تحت راية القرآن، ص 161.145.

(2) طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، ص 264.

(3) ينظر: لماذا نصادر هذه الكتب (مقال) رجاء النقاش، مجلة الدوحة . قطر، السنة 7العدد76، 2/ 142، 4 /1982.

obeikandl.com

ناقش الموضوع بأسلوب علمي دقيق، وعَرْضٍ تحليل واضح وأنصف ابن سلام إنصافا جيداً بقوله:"نحن لا نبالغ حين نقول ما في الكتاب من نقد حسنٍ إنما هو لابن سلام وإن الجمهرة العظمى من الشواهد التي استشهد بها فأساء الاستشهاد، مأخوذة عن كتاب "طبقات الشعراء"ويقول " وإذا حاولت أن تحصي المواطن التي أخذ فيها عن ابن سلام، صعب عليك العدد لكثرتها، ووجدتها مثبتة في الكتاب خصوصاً في كتاب أسباب انتحال الشعر الذي تهكم فيه كثيراً على القدماء، وليست تلك المواطن كلها منسوبة إلى ابن سلام فكثير منها مغفلٌ أو منسوب إلى مجهول كأن يقول لك "الرواة يحدثوننا"أو "الرواة مجمعون"، أو ما شابه ذلك من تغبير" وقد وقف أمام ما حذفه الدكتور طه حسين في كتابه (الأدب الجاهلي) ورأى الغمراوي أن "صاحب الكتاب حذف من غير أن يذكر أسباب الحذف. وهذه نقطة لها خطرها سواءٌ نظرت إليها من ناحية البحث وعلميته أم من ناحية التكفير عن الإساءة التي كانت من صاحب الكتاب إلى الدين وأهله.." [1] كما وضع محمد لطفي جمعة كتابه (الشهاب الراصد) عام 1926م، وبيَّن في مقدمته أنه كتاب "بحث اقتصادي تحليلي لكتاب الشعر الجاهلي الذي وضعه الدكتور طه حسين " [2] وكان له رد على من يشكك في الرواة وقال: " وإن كان بعض المعاصرين والأنْدَاد من الرواة طعن بعضهم في بعض، فليس في الطعن حجة أو دليل على صحة التهمة، لأنَّ اتحاد الحرفة والمنافسة في الشهرة والمزاحمة على نيل الحظوة قد تدفع ببعض الرواة إلى الحسد والغيرة لهذا قال الأقدمون إن المعاصرة حجاب، حتى إن رواة ثقات كالأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية صاحبه، ولكن المحققين ينزهونهم من الكذب.. فلا يجوز إذن أن نأخذ بما يقوله الرواة بعضهم في بعض" [3]

---

(1) النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، ص 13.

(2) م.ن 256.

(3) مصادر الشعر الجاهلي، ص428.

ونشر محمد فريد وجدي كتابه (نقد كتاب الشعر الجاهلي) عام 1926 في (300 صفحة)، وقد قدم له أمير البيان العربي شكيب أرسلان في خمسين صفحة أجاب عن السؤال: الشعر الجاهلي أمنحول أم صحيح النسبة؟ "وكان في منتهى الرصانة والتعقل والموضوعية، إذ بيّن أن الدكتور طه متأثر بآراء نفر من المستشرقين الذين لا يملكون أن يحكموا في نسبة شعر عربي لقائله أو لمنتحله[1]. لذلك لا يمكن أن نعتمد على آراء المستشرقين في مثل هذه القضية لأنَّ دعواهم كانت باطلة وهناك شكٌّ واضح في نيّاتهم، ولاسيما حين يظهر انحيازهم لليهود في تناول شؤون ثقافية شرقية. ومرجليوث" معروف بانحيازه لليهود"[2].

في حين نشر الشيخ محمد الخضري حسين وهو من شيوخ الأزهر كتابه: (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) عام 1926 - 1927م

وألف الشيخ محمد بن عفيفي الباجوري المعروف بالشيخ محمد الخضري كتابه "محاضرات في بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي" عام 1927م وقد عرف كتابه في المكتبة العربية بعنوان (طه حسين في الشعر الجاهلي)، والخضري هو أستاذ الدكتور طه حسين، وكان قد أشرف على رسالته (ذكرى أبي العلاء عام 1914. ونشر الشيخ محمد عرفة كتابه (نقض مطاعن في القرآن الكريم) في (150 صفحة) فقط، كتب مقدمته محمد رشيد رضا.وعبد المتعال الصعيدي في كتابه(مع زعيم الأدب العربي في القرن العشرين)، ثم يمضي في انتقاد الآراء المبثوثة في كتاب طه حسين حول جميع الموضوعات التي تناولها شعر ما قبل الإسلام واللغة، والسياسة وانتحال الشعر، القصص والرواة والشعوبية وشعراء ما قبل الإسلام ويفندها جميعها تفنيد الناقد العلمي بطريقة علمية تحليلية[3].

---

(1) ينظر: م.ن 403.وينظر النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي، ص 166-222،193-251، 264-269.

(2) معارك أدبية قديمة ومعاصرة، ص 256.

(3) ينظر: معارك أدبية قديمة ومعاصرة، ص 257.

obeikandl.com

وقد كتب المحقق الشيخ عبد الرحمن قراعة مفتي الديار المصرية مقدمة لكتاب "نقض كتاب في الشعر الجاهلي"قال فيها"..وبعد، فإن الباطل مابرح يحارب الحقيقة الإسلامية بسيوفه المغلولة، وشبهاته الضئيلة، ثم يرجع خائباً من غير جدوى.وقد عاد اليوم إلى جولةٍ يدفعه إليها نفرٌ من المتأثرين بكتب الداعين إلى معاداة دين سيد المرسلين سقطوا على ما فيها من تضليل فالتقطوا منه ما راق لهم وظلوا يعرضونه على أنظار قرائنا وأسماع الطلاب من أبنائنا، زاعمين أنه بضاعة جديدة هي ثمرات قرائحهم ونتاج أفكارهم محاولين بذلك تقويض بناءٍ قامت فضائله الشامخة على أساسٍ متينٍ من الحقائق الراسخة"(1).

وكما أشرنا فإن كتاب الدكتور طه حسين " قد أثار جدلاً عنيفاً شغل الحياة الفكرية بالدفاع عن الحرية، وقد حملت السياسة الأسبوعية لواء الدفاع عالياً"(2)... أدّى الأمر إلى مناقشته في جهات أعلى أدّى ذلك إلى سحب الكتاب من السوق وإعادة النظر فيه. ولا ريب في أن الدارسين من الجيل الثاني لم يكفّوا عن تناول الموضوع في بحوثٍ جادة هادئة توجّه عنايتها إلى معالجة القضايا علاجاً علميّاً بعيداً عن جوّ المعارك وملابساتها ومثّل هؤلاء الأستاذ إبراهيم المازني في كتابه "قَبْضُ الريح" والدكتور أحمد الحوفي في كتابه(الحياة العربية من الشعر الجاهلي) والدكتور علي الجندي في كتابه (تاريخ الأدب الجاهلي)، ومحمد رجب بيومي في كتابه (موقف النقد الأدبي من الشعر الجاهلي)، وصالح جودت في كتابه (طه حسين وقضية الشعر الجاهلي) عام 1975م، وعبدة بدوي في كتابه (طه حسين وقضية الشعر الجاهلي)، ومحمد حسنين في كتابه (الشعر الجاهلي والرد عليه)، وعبد الحميد المسلوت في كتابه (نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي) وزياد أحمد سلامة في كتابه (مع طه حسين في الشعر الجاهلي) وقد تعددت وجهات نظر النقاد وتنوعت وتناولوا هذا الموضوع في كتبهم العلمية ضمن قضايا كثيرة، و منهم الدكتور شوقي ضيف والدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور يحيى الجبوري،

---

(1) م. ن، ص 258.

(2) م.ن، ص 256.

وعفت الشرقاوي ومحمد عبد المنعم خفاجي، وانجلى غبار المعركة "عن تأصيل قويم في دراسة الشعر القديم.. ولم تؤصل هذه الدراسة القيّمة في الأدب الجاهلي وحده، فقد أصّلت البحث في الأدب العربي بعامة، إذ دعت إلى حرّية التفكير"[1].

وبعد أن تشعبت المعركة واتسعت في وجه الدكتور طه حسين الذي لم يكن بمقدوره أن يقاومها بعد أن تدخل رجال الدين بقوة فوجّه إلى مدير الجامعة المصرية آنذاك أحمد لطفي السيد رسالة يقول فيها: "كثر الغلط حول الكتاب الذي أصدرته منذ حين باسم في الشعر الجاهلي وقيل إني تعمّدت فيه إهانة الدين والخروج عليه، وإني أعلّمُ الإلحاد في الجامعة، وأنا أؤكد لعزتكم أني لم أرد إهانة الدين ولم أخرج عليه، وما كان لي أن أفعل ذلك وأنا مسلم أؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأنا أرجو أن تتفضلوا فتبلّغوا هذا البيان من تشاؤون وتنشروه حين تشاؤون"[2].

فقد جاءت مؤلفاته من بعد(على هامش السيرة)، و(مرآة الإسلام) و(الوعد الحق) لتسدل ستاراً على الماضي. وقد علق الدكتور المحتسب على ذلك بقوله: "ومن الغريب حقاً أن تسمى كتب طه حسين هذه (إسلاميات طه حسين) والأولى أن تسمى (كفريات طه حسين)[3] ويقول: "ويتخابث طه حسين ويصطنع الدهاء والمكر والذكاء.. ونسي أو تناسى أنه يخاطب مسلمين علموا البشرية الخير والحق والعدل والرجولة والإنسانية في أبهى صورها"[4].

كما أن الدكتور طه حسين قد حذف من كتابه أكثر تلك الأجزاء التي ثارت من أجلها ثائرة الناس في مصر عليه وعلى وجه الدقة والتحديد العبارات الحادة المتعلقة بالدين ففي طبعة كتابه الجديدة عام 1927م حذف الجزء الكبير من فصل الكتاب (منهج البحث)، وقد كان أكثر الأبواب إثارة ومابقي من الفصل

---

(1) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره، ص 161.

(2) معارك أدبية قديمة ومعاصرة، ص 259.

(3) طه حسين مفكراً، الدكتور عبد المجيد المحتسب، ص 92.

(4) م، ن.

obeikandi.com

وزَّعه على فصلين جديدين أحلهما محل الفصل المحذوف وهما: (الأدب وتاريخه) و (الجاهليون لغتهم وأدبهم)، لكنه لم يمس الفصل الثاني بأي تعديل يذكر وهو الفصل المتعلق بأسباب الانتحال، كذلك الفصل المتعلق بأخبار الشعراء الجاهليين فقد أضاف إليه شيئاً في أوله وشيئاً في آخره وهذا دليل على أن الدكتور طه حسين مصمم على آرائه في نحل الشعر الجاهلي وحتى العبارات التي حذفها فإنه لم يبيِّن أسباب الحذف، وفي الوقت نفسه فإن هناك اعترافاً ضمنياً آخر من الدكتور طه حسين يؤكد فيه قوة الشعر الجاهلي، إذ قال"إن الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها وما أعقبها من عصور أدبية زاهية كانت تتمتع بحياة نقدية راقية والدليل على ذلك ما بلغته الأمة حينذاك من الفصاحة والبلاغة"[1].

ويبدو أن إشارته إلى الأدب الجاهلي أكثر من أي أدب آخر بدليل قوله "ولدينا أبلغ دليل على تمكنهم من الفهم والنقد، وهو نزول القرآن الكريم فيهم بهذا المستوى الرفيع من الإعجاز"[2]. ولكن هذا قد نجد له مسوغاً آخر وهوما يخص الشعر المضري أو الشعر القليل والصحيح الذي اعتمد عليه، أما فيما يتعلق بتراجع الدكتور طه حسين عن أفكاره ومنهجه في كتابه (في الشعر الجاهلي) فإننا نمتلك أدلة وحججاً دامغة تلفظ بها ممن لهم باع طويل في الأدب العربي ونقده ومن هؤلاء الدكتور محمد أحمد الحوفي فقد شهد في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الحادية والأربعين(1395هـ - 1975م بقوله: " إن طه حسين قد رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي وهو الزعم الذي أدار كتابه (في الأدب الجاهلي) على تأييده "[3]. وكذلك تعددت الشهادات وتنوعت وقد كرر الأستاذ الأفغاني أدلة كثيرة على تراجعه وكذلك علل الدكتور عبد العزيز المقالح رجوع الدكتور طه حسين عن آرائه في كتابه (في الشعر الجاهلي) للأسباب الآتية:

---

(1) صحيفة البيان،مقال(الانتقاد)،سنة 1911م،نقلاً عن قضايا الأدب الجاهلي، ص.4.

(2) مجلة العربي، العدد 218. الكويت، ص، نقلاً عن مع طه حسين في الشعر الجاهلي، ص 113.

(3) مع طه حسين في الشعر الجاهلي، زياد سلامة، ص 113.

1- قد يكون من أسباب تراجعه عن ذلك الرأي إدراكه أن اختلاف اللهجات العربية في العصر الحديث لم تمنع الشعراء المعاصرين في مختلف الأقطار العربية أن تكون لهم لهجة موحدة المستوى يكتبون بها شعرهم في الوقت الذي يتحدثون فيه عن حياتهم اليومية باللهجات المحلية التي لا يستطيع أحد أن يقول إنها في قواعدها وتراكيبها تشبه اللهجة الشعرية، يتم هذا رغم امتداد الوطن العربي واتساعه بما لا يقاس جغرافياً عما كان عليه حال الجزيرة قبل الإسلام.

2- وقد يكون من هذه الأسباب أن طه حسين قرأ شيئاً من النقوش المتأخرة التي لا تكاد تختلف في لهجتها كثيراً عن اللهجة الفصحى التي كتب بها الشعر الجاهلي بالرغم من أنها لغة نثرية، ولغة عبادة، لا لغة أدبية "[□]. ويرى الدكتور المقالح أن طه حسين قد اعترف" بخطأ ما جاء في كتابه (في الشعر الجاهلي) من تحليلات تبعث على التشكيك في تراثنا الشعري ولم يقف عند هذا الحد فحسب بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك.. إلى إدانة المنهج الديكارتي الذي أقام عليه أحكامه "[بر] وكان الدكتور طه حسين قد كتب بعد عشر سنوات من كتابه (في الأدب الجاهلي) وقد نشره في كتابه (من بعيد) ومما جاء فيه: " وأنا أهدي هذا البحث إلى الذين يعرفون (ديكارت) من المتفرنجة والمتعلمين على اختلافهم.ذلك أني أعلم من أمر ديكارت ما لا يعلم الناس في مصر. وقد كنت أريد أن أضع فيه كتاباً، واضطرني ذلك إلى كثير من البحث والتحقيق وإلى ألوان من الاستقصاء والاستقراء. ولكني لا آسف على ما لقيت من عناء، فقد وصلت إلى نتائج غريبة قيمة لو أعلنتها في فرنسا لاندكت لها (السوربون) ولاضطربت لها الكوليج (دي فرانس) ولأعلن لها المجمع العلمي الفرنسي إفلاسه"[تر].

---

(1) مجلة العربي العدد 282، نقلاً عن: مع طه حسين في الشعر الجاهلي، ص 115.

(2) يوميات يمانية في الأدب والفن،ص115.

(3) من بعيد، طه حسين،ص 290. نقلاً عن يوميات يمانية في الأدب والفن، 34.

obeikandi.com

وقد نقل الدكتور عبد المجيد المحتسب عن طه حسين قوله عن ديكارت الذي بنى كتابه على غرار منهجه في الشك: "فللرجل نوعان من الفلسفة أحدهما سخيف ضعيف وهو الذي اعتمدت عليه في كتابي (الشعر الجاهلي). ومن ثم يعلق المحتسب ويقول: "والكتاب الذي يقوم على منهج سخيف ضعيف ماذا يكون؟! وإذا ظهر لطه حسين سخف المنهج وضعفه فلماذا لم يتخلى عن الكتاب، ولم يعلن براءته منه ؟ وهذه هي صفات العالم المفكر والنزيه والموضوعي كما يقولون".[1] فأستاذ يتهم المنهج الذي أتبعه بهذه الأوصاف السقيمة أليس كفيلاً بصاحبه أن يتراجع على الملأ. في حين رأى الدكتور محمد عمارة "أن طه حسين قد تراجع عن آرائه بشكلٍ غير معلن، وأن سبب عدم تصريحه بالعدول عن آرائه (كبرياؤه المتضخم قولاً صحيحاً"[2]، لقد كانت هذه الأدلة العلمية وغيرها من الأدلة المتمثلة في مجالس الدكتور طه حسين مع العامة والخاصة تؤكد بما لايدع مجالاً للريبة والشك بأن الدكتور طه حسين قد تراجع عن آرائه المتعلقة بنحل الشعر الجاهلي. وعلى الرغم من أنَّ هناك فريقاً آخر يرى أن الدكتور طه حسين لم يتراجع عن آرائه أبداً فالدكتور محمد الدسوقي يقول: "لقد رافقت العميد في العقد الأخير من عمره وقرأت له كثيراً من المؤلفات العربية القديمة والمعاصرة وجاء ذكر الشعر الجاهلي أكثر من مرة فما سمعت منه إلا شكه في هذا الشعر وطعنه في صحته، وقد قال لي يوماً إنه لا يعيد النظر في مؤلفاته عند إعادة طبعها."[3] ولكن هذا غير صحيح وقد طبع الكتاب (في الشعر الجاهلي) مرّات وقد عدّل وحذف فصولاً وأضاف أخرى حتى العنوان تغير لهذا أشكُّ في أن الفريق المساند للدكتور قد وضعوا أنفسهم في سجال مع خصوم طه حسين وأنهم لا يأخذون الموضوع على علميته وسجيته.

---

(1) طه حسين مفكراً، ص 196.

(2) الإسلام والسياسة، الدكتور محمد عمارة، ص 125.

(3) مجلة العربي العدد 243، نقلاً عن مع طه حسين في الشعر الجاهلي، ص 115.

وقد أكد الأستاذ أنور الجندي على أن الدكتور طه حسين لم يرجع عن آرائه لأنَّه لم يعلن تراجعه وبوضوح وعلى الملأ[1].

والدليل الآخر الذي يجعلنا نطمئن إلى صحة الشعر الجاهلي في الأغلب الأعم ما ذكره الدكتور ناصر الدين الأسد، إذ قال بعد أن وضع أسباباً لتأكيد صحة الشعر الجاهلي: " والسبب الثاني لاعتقادنا أن الشعر القديم صحيح في جملته، وليس منحولاً، هو أن شعر القرن الأول الهجري يتضمن وجود هذا الشعر الجاهلي ويفترض سبقه عليه: فقد استمر شعراء القرن الأول الهجري المشهورون: الفرزدق وجرير والأخطل وذو الرمة، يتبعون تقاليد الشعراء الجاهليين، من غير أن تكون بينهم فجوة، ففضلاً عن أنهم ذكروهم في شعرهم، فقد استعملوا ذخيرتهم الشعرية مراراً متكررة، متناولين الموضوعات نفسها بالأسلوب نفسه: محسّنين ومحوّرين ومقتبسين، ولكنهم ما يزالون متقيدين بالتقاليد نفسها. وليس من شك في أنه قد وصلنا شعر هؤلاء الشعراء صحيحاً، فقد عاشوا في عصر عمَّ استخدام الكتابة فيه لتدوين الشعر وإن كانت الرواية ما تزال أداة نشر بين الجمهور"[2].

ونخلص من هذا إلى أن الحديث، عن هذه القضية قد تجاوز حدّه وربما أتيح للموضوعية بعض الشيء من الحديث، ومما لاريب فيه أن شعر ما قبل الإسلام فيه الصحيح الموثوق به ويشكل نسبة كبيرة منه وفيه الموضوع والمنتحل ويشكلان نسبة ضئيلة جداً وليس بوسعنا أن نذكر كل ما قيل من حجج، أو تفنيدها لأنَّ ذلك الأمر معروف للدارسين. والتزاماً بمنهجنا ارتأينا أن نضع هذه الصفحات محوراً لهذه القضية. ولا ريب في أن المشككين في صحة شعر ما قبل الإسلام اعتمدوا على آراء جزئية تبدو وكأنها وجيهة غير أن تعميمهم إياها على شعر ما قبل الإسلام قد أغرقهم في دوّامة الأوهام والغفلة، وتبعاً لذلك يرى الباحث أن الشعر الجاهلي له أصوله وجذوره الراسخة في القدم، وان العرب حفظوه في صدورهم كابراً عن كابر

---

(1) طه حسين، أنور الجندي، ص 247.

(2) مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية،ص373. للاستزادة عن الانتحال وتوثيق الشعر ينظر: الشعر الجاهلي وقضاياه الفنية، الدكتور كريم الوائلي، ص 60.43.

obeikandi.com

"فكانت القصيدة العربية ما إن تنطلق من ركن بعيد من أركان بلاد العرب حتى تجد صداها في الركن الآخر قاهرة الصحارى.. مجتازة الجبال.. عابرة المياه مخترقة أسوار المدن.. أسرع من مروق السهم".(1)

ولم نجد تفاوتاً في اللهجات فكان الشعر المحور الرئيس لوحدتهم، وقد كانوا يعدونه ديوانهم الذي يمثل مآثرهم وشجاعتهم وسجاياهم وخلالهم الكريمة. لقد أفضنا في الحديث عن قضية النحل، وما يتعلق بها ونخلص من هذا إلى أن شعر ما قبل الإسلام صحيح في الأغلب الأعم موثوقٌ به يمكن الاطمئنان إليه لأنَّ علماء العربية قد تثبتوا في روايته وفحصوه فحصاً دقيقاً، ولم يقبلوا منه إلا ما ثبت صحته لديهم، وهذا هو الشعر الذي حملته إلينا مصادر الأدب العربي ونقده.

---

(1) الشعر ونضال الوحدة في صدر الإسلام (مقال) د.عادل جاسم البياتي،ضمن كتاب دور الأدب في الوعي القومي العربي، ص 103.

openkandl.com